الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ـ بجاية ـ

كاية الأداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

الصراع الإيديولوجي في الرواية

رواية "سيدة المقام" لواسيني الأعرج أنموذجا

مذكرة لاستكمال شهادة الماستر

من إعداد الطالبتين
زينب رياح
صورية بشير

تحت إشراف الأستاذة
لبحري جوهر

السنة الجامعية

2013 /2012

بسم الله الرحمن الرحيم

فهـــــــرس الموضـــــوعات

المقدمة .....

الفصل الأول :الإيديولوجيا والنص الروائي

1- مفهوم الإيديولوجيا..... ....ص 1

2- علاقة النص الروائي الجزائري بالأيديولوجيا.....ص11

الفصل الثاني :تجليات الصراع في الرواية

1- ملخص الرواية .....ص 20

2- ا لراهن الثقافي.....ص21

3- الراهن السياسي.....ص25

4- الراهن الديـني .....ص 27

4- وضعية المرأة والراهن الجديد.....ص29

خاتمة ص35

ملحق.....ص36

المصادر والمراجع.....ص38

مُقـــــــــدِّمَة

وسط تلك التناقضات والصراعات التي عرفها المجتمع الجزائري سواء في العهد الاستعماري أو بعده حيث شهدت الساحة الجزائرية بعد الاستقلال تحولات اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية فانعكس هذا علي الجانب الأدبي فأسهمت الرواية بالطابعها الاجتماعي المستمد من واقع المجتمع والتي لها القدرة على حمل انشغالات الحياة وأصبحت سيدة الفنون الأدبية في الفترة المعاصرة إنتاجا و دراسة نظرا لقدرتها على اقتطاع صورة الواقع المعيشي.

لقد كانت الرواية في أدب **واسيني الأعرج** احدي الصور الرائعة الذي برع في تصويرها لأنها تمثل تجربة أدبية فريدة و متميزة لذلك كانت رغبتـــنا كبيرة في الوقوف على أدبه الذي يحظى بعناية بالغة من طرف الدارسين الجزائريين بخاصة والعرب بعامة، إذ لا يكاد الروائي يصدر إنتاجا جديدا حتى يتهافت النقاد عليه بالدراسة والتحليل فلا تخلو رواية من رواياته من قراءة حولها سواء في البحوث أو الرسائل الجامعية .

وتعد الرواية من اكثرالنصوص الأدبية استحضارا للمعالم التاريخية وللمظاهر الاجتماعية وللأنساق الفكرية الأيديولوجية حيث تقدم للقارئ علي شكل رسالة فكرية أدبية تعتمد التشكيل الفني المبني علي عناصر متباينة وكان الهدف من نلك هو ضمان مقروئيتها وخلق متعة جمالية لمتلقيها مما جعلها تتميز عن باقي الأجناس الأدبية الأخرى ولهذا كان اختيارنا لهذا الجنس السردي بوصفه الشكل الأنسب في تصورنا المنهجي في التحليل وما يتضمنه من مضامين اجتماعية وسياسية وتاريخية وثقافية لذلك ارتكزنا علي احدي روايات **واسيني الأعرج** وهي رواية **سيدة المقام** وقمنا بدراستها دراسة إيديولوجية حيث كان الهدف من وراء هذه الدراسة هو البحث عن العلاقة الجدلية التي تربط بين النسق الداخلي والخارجي لنص الرواية أي النظر في كيفية تمثل الأبنية اللغوية للأنساق الفكرية الأيديولوجية المتمثلة في النص إلا أن هذه العلاقة فيها كثير من الغموض والاختلاف فمصطلح **الأيديولوجية** فيه كثير من الغموض حتى في المفهوم والمدلول لدى الدارسين والمنشغلين به في حقل الدراسات النقدية الأدبية ،وقد كانت لهذه الدراسة مكانة لا يستهان

بها ذلك محاولة الكشف عن تلك المشاعر التي تستمد نسغها من روح الشعب الجزائري وتجسد حلما شعبيا يزيدها وعيه عمقا ويكسبها مفهومه الجدلي بعدا إنسانيا واجتماعيا.

أما فيما يخص بحثنا فقد قسمناه إلى فصلين،تناولنا في الفصل الأول" **ماهية الإيديولوجية "** تطرقنا إلى مفهومه الموسع لدي مجموعة من الفلاسفة أمثال **دوستوت دوتراسي، ماركس، انجليز، مانهايم،لوسيام غولدمان والعـــــروي** ،ففي البداية انطلقنا من تعريف المفكر الفرنسي **دوستوت دوتـــــــراسي** الذي يعتبر أول من استخدم المصطلح في كتابه **مشروع عناصر الإيديولوجيا** سنة 1801 لقد كان هذا المفكر الفرنسي يرمي إلي تخليص هذا المصطلح من كل أنواع الخيالات والميتافيزيقيا واهتمامه بتفكيك وتبسيط الأفكار في واقعها المشخص هذا فيما يخص تعريف **دوتراسي**،وأما فيما يخص تعريف **ماركس** فقد مرا بعدة تعريفات ففي بداياته الأولي اعتبره انه له علاقة بالدين وذلك لتتبعه **لفويرباخ** في وصفه لدين بأنه انعكاس علي وجه الدقة لصورة المقلوبة للواقع ، ومن بعد ذلك ربطه بالفلسفة المثالية التي تأكده الفلسفة الهيكليــة لكن نجد أن مصطلح الإيديولوجـيا لا يتضمن الدين والفلسفة حسب ماركس بل يدخل إلي ما بعد العلمية إلي الحياة الاجتماعية ،ثم تطرقنا إلي تعريفات أخرى للفلاسفة ، أما الفصل الثاني تطرقنا إلي **تجليات الصراع الإيديولوجي في الرواية** ،في هدا الفصل تناولنا تلخيص الرواية ، والراهن الثقافي تحدثنا فيه عن الوعي التـَّام، والوعي الممكن الذي تحمله الشخصيات المثقفة في الرواية انطلاقا من تعريف لوسيان غولدمـــــــان لتعريفه للوعي ،ثم تطرقنا إلي الراهن السياسي الذي تحدثنا عن الإيديولوجية المهيمنة (الاشتراكية)، والإيديولوجية المضادة (الدينية)، كما تطـرقنا إلى وضعية المرأة والراهن الجديد وفيها تحدثنا عن المرأة التقليدية في الرواية ،والتي مثلها الروائي بشخصية **خضراء** ثم عن المرأة الضعيفة التي عبر عنها الروائي عن مأساتها، و حرمانها داخل المجتمع الراهن ، ثم المرأة المتحدية والتي مثلها الروائي في شخصية **مريم** بطلة الرواية، لقد تناولنا عنصر المرأة لأنها تعتبر، وستظل محورا جذابا لأحاديث الأدباء ، و أشعار الشعراء ،لأنها فكرا متصارعا ، وكتلة أحاسيس ، وكثير ما تجادلوا حول خصوصيــاتها و أسرارها لأن أحاديثهم عنها تصبغ بلون نضرتهم متعاطفين معها حينا ، و ساخطين عليها أحيانا أخرى ، لذا كانت المرأة في الرواية العربية عامة ،

والجزائرية خاصة صورة مشوهة فأختزل كيانها ووجودها الإنساني في شيء وهو الجسد ،أما الأنوثة فكثير ما همشت .

أما الخاتمة فكانت حوصلة لأهم النتائج النظرية، و التطبيقية التي وردت في البحث

و في الأخير أتقدم بالشكر الجزيل إلي الأستاذة المشرفة (لبحري جوهر) التي لم تبخل علينا بنصائحها ، فقد وفرت لنا المراجع التي احتجناها في بحثنا ، كما نتقدم بجزيل الشكر إلي قسم اللغة العربية و آدابها ـ جامعة بجاية ـ إلي جميع الأساتذة الأفاضل .

الفصـــــل الأول

1ـ الإيديولوجـــــــيا

يُعتبر الأدب بمثابة تصوير لحياة المجتمعات بكل تناقضاتها، ويعكس تطور النشاط الفكري والمعرفي لها، فهو يعبر عن بنى فكرية واجتماعية واقتصادية تفسر من خلالها أفراد الجماعة عن سر وجودها الفكري و المادي، فللأدب مشروعية الكتابة عن الصراع الاجتماعي معتمدا في ذلك الطريقة الفنية الأدبية ليخلق ما يسمى بمجتمع النص، و نتيجة لهذه العلاقة التي نشأت بين الأدب والمجتمع ظهرت عدة اتجاهات و مدارس نقدية تنادى باجتماعية الأدب، باعتبار أن النص الروائي من أكثر الأجناس الأدبية قدرة على حمل انشغالات الناس، و هو منتج لأنساق إيديولوجية للظاهرة الأدبية، لذا يتطلب منا توضيح كيفية تمثُّل هذا النوع من النسق في النص، و كذلك ضبط مفهوم مصطلح **الأيديولوجية Idiologie**، والكشف عن العلاقة التي تربطه بالفكر الإنساني، وعلاقته بالنص الروائي.

لقد اعتبر مصطلح **الأيديولوجيا** من أكثر المصطلحات استعمالا من حيث المفهوم بتعدد مشاربه وميادينه، لذا نراه كثير التوظيف، والتفسير من طرف الفلاسفة والمفكرين والأدباء رغم تعدد ميادين استعماله، فقد ظل غامضا لا يستقر على حال، إذ نجده تارة في المدلول الفلسفي و أخرى في المدلول الاجتماعي والفكري، و حتى الأدبي يحمل تعقيدات في استعمالاته المفهومية، ولتكن البداية من مفهومه التاريخي .

1.1 بداية استخدام مصطلح الإيديولوجيا

لقد استخدم مصطلح "**الأيديولوجيا**" لأول مرة من طرف المفكر الفرنسي " **ديستوت دو تراسي Destutt De tracy**" في كتابه "**مشروع عناصر الأيديولوجيا**"[1] سنة 1801، ونجد جذر الكلمة إغريقي الأصل، فهو ينقسم إلي قسمين"Idéa " ويعني "**الفكرة** = idée " و" Logie" ويعني "**العلم**" **أي** "**علم الأفكار**"، وقد كان اهتمام" **دوتراسي**" منصبا على إيجاد مبحث يهتم بدراسة الأفكارأو الوعي الذي يحمله الإنسان دراسة علمية مقننة بعيدا عن تلك التصورات الكاذبة علي حد تعبير " **ج. غورفيتش**" Georges Gurvitch : " **الأيديولوجية والبناء الفكري الإيديولوجي، قد وُصفا أولا بأنهما خيالات أو بعبارة أبسط التصورات**

[1] - عبد الهادي الجوهري ،المكتب الجامعي الحديث الأزاربطة إسكندرية ، ط1 ،ص13

الكاذبة التي يرسمها الناس علي أنفسهم" [2] بمعنى أن النظام الفكري الذي يحمله الإنسان نابع بالدرجة الأولى من تلك التصورات المنبثقة من الجانب النفسي له في خوالجه الذاتية، فالأفكار في حالة تمثلها في الواقع العلمي تختلف عما تشير إليه الانطباعات النفسية التي تمثل أفكار الفرد تجاه الواقع.

إن اهتمام "**دوتراسي**" بهذا المبحث في التحليل العلمي **للإيديولوجيا** يرمى إلى تخليص المصطلح من كل أنواع الخيالات، واهتمامه بتفكيك وتبسيط الأفكار الحركية في واقعها المشخص، وهذا ما جعل مصطلح **الأيديولوجيا** ينتشر انتشارا واسعا بين المفكرين والفلاسفة، خاصة في الأبحاث السوسيومعرفية لينتقل بعد ذلك إلي رجال السياسة ومنه إلي رجال الأدب، وآخر توجه يتمثل في المفهوم الفلسفي الذي لا يختلف عن مفهوم " **دوتراسي**" .

ورد في موسوعة روزنتال الفلسفية أن "**الإيديولوجيا نسق من الآراء والأفكار السياسية والقانونية والأخلاقية والجمالية والدينية والفلسفية** "[3] بمعنى أن مصطلح الإيديولوجيا نسق عام مشكل من أنساق جزئية يحملها الوعي الإنساني ويعبرعنها في المحيط الاجتماعي هذا المفهوم الفلسفي الذي نجده يتقاطع مع النظرة **الماركسية** وكذا **السوسـيولوجيا** في المحيط الاجتماعي وهي اعتبار الأيديولوجيا كأنساق اجتماعية واقتصادية وسياسية .

لقد كانت البدايات الأولى **للإيديولوجيا** تشويهية إعفاءيه حيث يعبر الفرد أو الجماعة عن حالته دون أن يعلم ذلك أو يدركه ، وتبدو الإيديولـوجيا كأنها تعـبر عن الحالة الطبقية دون وعي الفرد بها، يقول **بول ريكور** "**الإيديولوجيا ليست موقف الشخص المتكلم إنه دائما موقف شخص أخر** "[4]. عندما توصف الإيديولوجيا بطريقة فضفاضة جدا تكون خطأ ارتكبه الأخر، لا يقول الناس أبدا عن أنفسهم أنهم دعاة للإيديولوجيا ولكن الإيديولوجيا موجهة دائما ضد الأخر .

[2] ـ بول ريكو ، محاضرات في الإيديولوجيا ،تح جورج هـ ، تيلور ،تر فلاح رحيم ، ط1 ، دار الكتب الوطنية /بنغازي ،ليبيا ،ص13
[3] ـ روزنتال ، م،و،ي ،الموسوعة الفلسفية ، تر سمير كرم ، دار الطليعة ، ط1 بيروت 1974 ص526
[4] ـ بول ريكو ،محاضرات في الإيديولوجيا، ص49

الإيديولوجيا في النقد الغربي ظهرت في كتابات "**ماركس**" أو على وجه الدقة كتابات "**ماركس الشاب** "**(نقد فلسفة الحق لهيكل والمخطوطات الاقتصادية والفلسفية لعام 1944 والأيديولوجية الألمانية)** هذا الكتاب يتصدر مفهوم الأيديولوجيا ومضمونه، لكن في الواقع نجد أن هذا مفهوم قديما مشتق من مدرسة فكرية في فلسفة القرن الثامن عشر، أطلق أصحاب هذه المدرسة علي انفسهم تسمية Idéologues وهم دعاة نظرية في الأفكار، و كانت فلسفتهم دلالية، ولكن تكمن علاقتها بالأفكار فقط. و قد اعتبرهؤلاء الأعضاء أعداء الإمبراطورية الفرنسية تحت حكم "**نابليون** " على أساس أنهم " إيديولوجيون Ideologes "، لذلك نجد معنى المصطلح عند "**نابليون** "سلبيا، و منه فالإيديولوجي مطالب من طرف السلطة .

لكن إذا انتقلنا إلى أعمال "**ماركس**" نجد أنه أخذ المصطلح من التجربة الفيزيائية أو الفسيولوجية :" **تجربة الصورة المقلوبة التي تظهر في الكاميرا أو على شبكة العين** "[5] نجد أن "**ماركس**" أعطى مثالا عن الصورة المقلوبة في الكاميرا أو على شبكة العين أنموذجا لصورة المقلوب للواقع، نجد في مفهومه الأول "**الإيديولوجية إنتاج صورة مقلوبة** "، هذا المفهوم اعتبره تشويهات أنتجها القلب، يبدو أن ماركس قد اعتمد في هذا على الأنموذج الذي قدمه " **فويرباخ**" Ludwig Feuerbach في وصفه للدين بأنه انعكاس مقلوب على وجه الدقة للواقع " **إن علاقة المسند والمسند إليه في المسيحية مقلوبة** "[6] بين لنا البشر في الواقع مسند إليه اسقط على المقدَّس صفاته الخاصة ، لقد كان "**ماركس**" في تتبعه" **لفويرباخ**" يفترض أن الدين هو الأنموذج البدائي لهذا الانعكاس الذي يقلب كل شيء رأسا على عقب، هذه النظرية هي رد على الأنموذج الذي قدمه "**هيجل**" .

كما نجد أنه عند فصل الأفكار عن عملية الحياة وعملية العمل المشترك فإن الإيديولوجية تأخذ شكل الواقع المستقل، وهذا ما يقودنا إلى المثالية بوصفها إيديولوجيا، حيث هناك " **تواصل دلالي بين الادعاء بأن الأفكار توفر مرشدا أو أنموذجا أو مثالاً لرسم صورة لتجربة** "[7] هنا نجد أن الدين ليس وحده النموذج لهذ الانعكاس، ولكن الفلسفة المثالية التي هي الأخرى تمثل نموذجا للإيديولوجيا، كما تأكد ذلك الفلسفة الهيجلية بالقول:

---

[5] - بول ريكو ، محاضرات في الايديولوجيا واليوتوبيا ،ص50

[6] - م، ن ،ص51

[7] - بول ريكو ،محاضرات في الايديولوجيا و اليوتوبيا ،ص51

"عقلانية الواقع تعرف من خلال ظهوره ولو في التاريخ، وذلك عكس- أي إعادة تأسيس أفلاطونية- للواقع حسب نماذج مثالية. "[8]

ظهرت الفلسفة المثالية في الزمن الذي عاش فيه "**ماركس**"، و اعتبر العلمانيون أن الفلسفة المثالية نوع من الدين، و قد رفعوها إلى وظيفة الإيديولوجيا. لقد ارتبط مفهوم المصطلح عند ماركس بالواقع (الحياة الواقعية)، ولم يربطه بالعلم كما صار فيما بعد، إذ لم يعتبر العلم البديل المفهومي للإيديولوجيا بل الواقع أن الإنسان هو الذي يفعل أشياء ثم يتخيل ما يفعله في عالم غائب، لذا نجد أن هناك واقعا اجتماعيا يسعى فيه الإنسان إلى كسب رزقه، هذا هو ا لواقع الحقيقي بوصفه ممارسة، لكن هذا الواقع بعد ذلك يمثل على شكل أفكار على نحو زائف باعتباره مستمدا من عالم الأفكار. من هنا يقر" **ماركس**" أن الفلسفة قد أحدثت انقلابا في تتابع الواقع، يبدو أن مفهوم ماركس للإيديولوجيا لا علاقة له بالعلم. يظهر مفهوم أخر للإيديولوجية يتمثل في "**رأس المال** " الذي ظهر في كتابات لاحقة، خصوصا في أعمال " **انجليز**" الذي اعتبر الإيديولوجيا تتلاقى مع العلم الذي اعتبر الكيان المعرفي و نموذجه "**رأس المال**".

في هذا الصدد نجد أن الإيديولوجيا لا تتضمن الدين فقط بمعناه الويرباخي، أو الفلسفة المثالية كما رآها "**ماركس الشاب**"، بل تدخل كل المداخيل ما بعد العملية إلى الحياة الاجتماعية، هذا المفهوم تمثله مدرسة " **فرنكفورت** " في البداية و قد طورت العلم بالمعنى الكانطي أو الفختي.

تقوم هذه المدرسة بمعالجة الواقع الذي يعتبر العلم ذاك الذي يكتفي بالوصف، وقد قامت هذه المدرسة يفرض موقف ضد علماء الاجتماع التجريبيين الذين يدرسون أيديولوجية "**النظام الليبرالي الرأسمالي**". حاول هؤلاء الأعضاء ربط العلمية النقدية لنقد الأيديولوجيا بالتحليل النفسي، وادّعوا بأن المشروع التي قدموه في نقدهم السوسيولوجي للمجتمع يوازي ما يحققه التحليل النفسي للفرد، لكن"**ماركس**" طور مفهوما أخر للعلم ليس باقترانه بالتحليل النفسي الذي يهتم بالفرد بل باتخاذه شكلا أخر للاقتران، هذا الشكل هو البنيوية التي تشير إلى الذاتية، وقد تطورت في فرنسا على يد" **لوِيس بيـــير ألتوسير**"

[8] - م ، ن ، ص 52

Louis Pierre Althusser (1918 ـ 1991) الذي يرى أن الذات التي تشير إلى المعنى في الواقع أو على وجه الدقة وهم أساسي.

لقد اعتبر "**التوسير**" "**ماركس**" أول من قدم الفكرة الرئيسية للإيديولوجي، لأنه تحدث عن الذات ومفهوم " **الاغتراب** "، فحسب "**ألتوسير** " كل كتابات "**ماركس الشاب**" تُعامل على أنها أيديولوجيا، حيث نجد أن "**ألتوسير**" في مقال له بعنوان "**الأجهزة الأيديولوجية للدولة**" يصرح بأن الإيديولوجيا ليس لها تاريخ، وهو في هذا يتفق مع "**ماركس**". إن البنية الإيديولوجيا فوقية مكونة من أجزاء وأنساق، وهي تمثيلات بين الأفراد ومحيطهم الاجتماعي .

يرى "**كارل يسبيرس** "Karl Jaspers" (1883–1969) أن المفهوم الماركسي للأيديولوجيا عبارة عن تمثيلات اقتصادية واجتماعية وفكرية، كما يمثل الوعي بالمحيط الذي تعيش فيه الفئات واندماجها في خصوصيات المجتمع. وهذه التمثيلات تشكل النسق الإيديولوجي الذي يظهر على شكل صراعات بين الطبقات الاجتماعية، و لذا يلاحظ أن الطبقة المسيطرة "**البورجوازية**" هي الطبقة المنتجة لأشكال الوعي، والطبقة التي تفتقد لوسائل الإنتاج "**البروليتاريا**" تخضع لأفكار الطبقة المسيطرة، وعاجزة عن التصدي لتلك الإيديولوجيا السائدة، وهذه الطبقة المسيطرة تسعى لتكوين وخلق وعي خاطئ للواقع الذي يتسم بالفساد والاستغلال، مستبعدة وعيها الحقيقي للعلاقات الإنسانية في المجتمع، فتبني بذلك أفكار غير أفكارها دون وعي حقيقي.

لقد كان مدلول الإيديولوجيا ينحصر بين النشاط الاقتصادي الذي تقوم به تلك الطبقات الاجتماعية أو تلك التصورات والأفكار التي تشكل نسقا إيديولوجيا في الحياة الاجتماعية، وعاملا في تجسيدها في الأعمال الأدبية الروائية.

و الإيديولوجيا لها علاقة مباشرة بالمجتمع، ولها مفهوم سوسيولوجي، على اعتبار أنها النظام الفكري لمجتمع ما، فالمدلول الاجتماعي للإيديولوجيا يتمثل من خلال البنيات الفكرية للمجتمع، فهي عبارة عن ظاهرة اجتماعية توجه الأنظمة السياسية والقانونية والأدبية، فالوعي الجمعي يفرز بدوره "**رؤية العالَم**"، لذا نجد معظم الباحثين والمهتمين بـــ"**علم الاجتماع** " يُقِرُّون أن **الإيديولوجيا تابعة للعالم الاجتماعي** وكما أن اجتماعية المعرفة قد تفرعت عند " **كارل مانهايم Karl Manhheim**" عن نظرية مختصة

في دراسة الإيديولوجيا باعتباره ظاهرة اجتماعية ينبغي دراستها دراسة علمية مقننة، تحمل صفة العلمية .

يرى "**مانهايم**" في تحديده لمفهوم الإيديولوجيا ضمن المدلول الاجتماعي أن الإيديولوجيا مرتبطة بطبقة اجتماعية حاكمة تحمل فكرا طوبيا تقابلها طبقة محكومة تحمل فكرا أُدلوجيًا. و يقول" **مانهايم**": " **أما الحالة الفكرية الأيديولوجية فتبقى فعالة في تحقيق الأوضاع القائمة، والمحافظة عليها**"[9].

علي غرار **مانهايم** نجد **لوسيان غولدمان** الذي طرح تصوره للأيديولوجيا " **كرؤية للعالَم** " حيث يعطي حدود فاصلة بينهما، فهو يرى أن الأيديولوجيا هي نفسها رؤية العالم من خلال مفهومها التقليدي إذ هي "**العنصر الأساسي الملموس للظاهرة التي يصفها علماء الاجتماع منذ عشرات السنـــين، بمصطلح الوعي الجمـــاعي** " [10] فهو يقابل مصطلح " **الوعي الجماعي** برؤية العالَـــم، وذلك تفاديا لسوء الفهم ، وإزالة اللبس. لقد ركز غولدمان على الوعي الجماعي المسمي بالرؤية الكونية للفئة، ولم يؤد به إلى تجاوز الأنظمة الفكرية للطبقة الاجتماعية، كما أن العناصر التاريخية الراسخة في الوعي الجماعي تحمل قيما و رؤى معرفية بين كل الفئات الاجتماعية، وبالتالي فإن رؤيتها المستقبلية للعالَم تعرقل المصالح الفئوية، و هو ما لم يركز عليه غولدمان. وبعبارة آخري فإن تغيـــير مصطلح "رؤية العالم" بدلا من مصطلح" الإيديولوجي" الذي رفض أن يصبغه على العمل الأدبي الذي يرى فيه أنه ناتج عن الوعي الجمـــاعي، ما هو في الحقيقـــة إلا انبثاق عن الوعي الفردي، " **فالوعي الجماعي لا يكون حاضرا إلا انطلاقا من الوعي الفردي** "[11] .

إذن فمفهـــوم الإيديولوجية ليس بعيدا عن المفاهيم السابقة حول رؤية العـــالَم ، غولدمان يأخذ بجوانب الحياة الفكرية والاجتماعية ليصوغها على شكل بناء متماسك في العمل الأدبي .

---

[9] - م ، ن ،ص 111

2 - Lcien Goldman ، Dieu cache, Edition Gallimard , Paris P25

[11] - Lucien Gildman , Le Dieu cache ,Edition Gallimard ,Paris :1983, P 27

فالإيديولوجيا من زاوية نظر غولدمان تنحصر في نقاط ضيقة و رؤى جزئية تتمثل في طبقة واحدة ، ولا تملك تطلعات مستقبلية علي غرار " الرؤية الكونية " العاملة لتطلعات مستقبلية رحبة متجاوزة الأوهام التي تكونها عن نفسها.

نستنتج أن غولدمان من خلال مقارنته بين الإيديولوجية و رؤية العالم أنه يستبعد تماثل الإيديولوجية برؤية العالم على الرغم من توافقهما في مجالات الفعل الاجتماعي، بالإضافة إلى أن إيديولوجية الكاتب الحقيقية هي رؤية العالم، من هنا نستطيع الحكم على غولدمان أنه استبدل مصطلح الإيديولوجية برؤية العالَم في كثير من الأحيان و حاول وضع فواصل بينهما.

وقد حاول"**عبد الله العــروي**" في كتابه "**مفهوم الأيديولوجيا**" تحديد استعمالات مصطلح "**الأيديولوجيا**"، وقد ماثله بكلمة "**أدلوجة**"[12] وهما وجهان لعملة واحدة، فالأدلوجة على حد قول "**عبد الله العــروي**": "**منظومة كلامية سجالية، تحــاول رغبة ما أن تحقق بواسطتها قيمة ما باستعمال السلطة داخل مجتمع معين** "[13]، ويُرادُ بالإيديولوجية النسق الفكري الذي تتبناه طبقة اجتماعية معينة داخل مجتمع ما لتحقيق رغبتها .

لقد تنوعت معاني "**الأيديولوجيا**" مع "**العــروي**" إذ يرى أن : " **الأيدلوجية في معنى القناع، وفي معنى رؤية كونية، وفي معرفة الظواهر** "[14] وعند جمع هذه الأنساق الثلاثة نتحصل على النسق العام الذي هو"**الأيديولوجيا**"، وقد قسمه إلى ثلاثة أقسام.

– **الأيديولوجيا كقناع أو كنسق سياسي:** وهو عبارة عن نظام من الأفكار:"**الوهمية تتضمن تقريرات وأحكاما ما حول المجتمع عن مصلحة، وتهدف إلى إنجاز عمل معين**"[15] بمعنى أن الأيديولوجيا تتصل بالنظام السياسي الحزبي بخاصة، و ذلك لكسب أكبر عدد من الأنصار.

---

[12] - ميز مانهايم بين الأدلوجة والطوبى، فالكلمتان تشتركان في معنى واحد: **الابتعاد عن الواقع والعجز عن إدراكه.** إلا إن الأدلوجة متعلقة بوضع تجاوزه التطور. و الطوبى متعلقة بمستقبل مستبعد التحقيق. وكل منظومة فكرية قد تكتسي صبغة إدلوجية أو طوباوية حسب الظرف التاريخي الذي تظهر فيه (الطوبى ذهنية الطبقات إبَّان صعودها و الأدلوجة ذهنية الطبقات في حالة انحدارها).

[13] . عبد الله العروي ،مفهوم الإيديولوجيا ،المركز الثقافي العربي ،ط1 1993،ص13

[14] . م، ن ،ص13

[15] - م،ن ، ص 13

– **الأيديولوجيا كـــرؤية كونية: و هي** ذلك النظام الفكري **الذي** " **يحتوي على مجموعة من المقــولات والأحكام حول الكـــــون ، تستعمل في الاجتماعات الثقافية لإدراك دور من أدوار التاريخ كقصد يتحقق عبر الزمن**"[16] فالتاريخ هنا يعني النمط الأيديولوجي الذي يحمل حقيقة الواقع. والإيديولـــوجيا بهذا تسعى لكي يعتنقـــها الناس بسبب حملها للأفق، و هي نظـــرية موضوعة للواقع عكس السياسة الشعبية الممـــلوءة بالنظرة الذاتية الضيقة، وهذا النسق من الأيديولوجيا بعيد كل البعد عن السياسة، وهوالذي يتبناه الفلاسفة كـــ**هيغل،** أما **عند لوسيان غولدمان فتعني** " **منظومة فكرية تعبر عن الروح التي تحفز حقيقة تاريخية**[17] . إن الأيديولوجيا تتطلب مواقف معرفية ، وفكرية للظاهرة الاجتماعية .

– **الأيديولوجيا كمعرفة أو كنسق إبستمولوجي:** ذلك النظام الفكري الواعي الذي يسعى إلى : "**معرفة الظاهرة الآنية، والجزئية، مجاله النظرية المعرفية، ونظرية الكائن** "[18]، فهي نمط فكري معرفي مهمتها البحث عن ماهية الكون والكائن الاجتماعي. وكان الهدف من ذلك هو تخليص الفكر من الأوهام والأحاسيس الذاتية. ولقد تبنت المنهج العلمي في تحليل الظواهر الفكرية والمادية. فالاقتصاد الذي كان محل صراع سياسي خلال القرن الثامن عشر أصبح علما وقانونا مرتبطا بالحركة الاجتماعية .

مع تصورات **العروي** يمكن أن نقول:إن الأيديولوجيا حاملة للأفكار الدوغماتية ومدافعة عن المصالح الذاتية، فهي قناع ذو توجه سياسي، وإذا كانت أفكارها واعية وهادفة إلى تغير الواقع فهي رؤية كونية استشرافية، وأما إذا كان نظام أفكارها موضوعيا وهادفا إلى التحليل العلمي للكون والكائن فهي رؤية معرفية .

---

[16] - م، ن ، ص13

[17] - م، ن ، ص20

[18] - م، ن ، ص13

1 ــ 2 ـ نهاية الإيديولوجية:

قبل سنوات، بل عقود، كتب **دانيال بيل**، و عو عالم سياسي أمريكي، يتنبأ بأن الأيديولوجيا في طريقها إلى الفناء. كان بيل يتصور مثل كثيرين غيره من علماء السياسة والسياسيــين في الغرب أن الأيديولوجيا هي الشيوعية، أما غير ذلك فهو خيارات للبشر، وهو نتيجة حسابات واقعية ومصالح حقيقية. كان صعباً، في ذلك الحين الاقتناع بمنطق بيل وزملائه، فالشيوعية كانت ملء البصر، والعقل في كافة أنحاء أوروبا الشرقية وروسيا ووسط آسيا والصين وكوريا وإثيوبيا وفيتنام و كوبا، وكانت أيضاً تداعب خيال زعماء اليمن الجنوبي ومثقفين كثيرين في شتى أنحاء العالم العربي.

وفي الوقت نفسه، كانت القومية متأججة في إيران وتركيا والعالم العربي وتحت السطح في دول أوروبا، ورأى فيها بعض المفكرين ردَّ فعلٍ طبيعيٍّ على زحف الشيوعية من ناحية، والزحف الاستعماري الغربي من ناحية أخرى. وفي حالتنا أضيف الغزو الصهيوني، إلا أن **بيــل** لم يكن مفكراً عادياً، فقد كان رغم اعتقــاداته الواقعية، ينظــر إلى بعيد، أي أبعد من واقعه.. كان واحداً من صانعي الرؤى وطلائع فكر نهاية التاريخ، أي انتصار فكرة حتى ابتلاع بقية الأفكار، وكان من طلائع فكر الاستعداد لحروب كونية يفجرها اختلاف أساليب الحياة و كذا اختلاف الثقافات، أي حروب وصدامات بين الحضارات.

في الحالتين، حالة نهاية التاريخ، وحالة حروب الحضارات، كان لابد من الإيمان ببداية زوال الأيديولوجيا، أو على الأقل إنكار وجودها، ولو تطلب الأمر استخدام القــوة أوالحصار أو الضغط أو إقامة التحالفات لتحقيق هذا الإنكار ثم تثبيته، فالاعتراف بالانتماء إيديولوجياً يعني بالضرورة الالتزام بالمواقف والتشدد في السياسات والارتفاع فوق مشكلات الأقليات والأعراق والطوائف. ومن ناحية أخرى تدفع الأيديولوجيا المنتمين إليها إلى افتراض أن للآخر خصماً كان أو حليفاً أيديولوجياً وإن أنكر وجودها.

لقد حدث أن حوربت الجامعة العربية لأن اجتماعاتها تنعقد في ظل اقتناع أعضائها المعلن أو الكامن بالقومية العربية، وآلت الولايات المتحدة على نفسها منذ وقت طويل بعدم الاعتراف بالجامعة العربية لهذا السبب. وعندما قيل للأمريكيين إن القومية كأيديولوجيا انفرطت، وإن أغلب العرب أصبحوا واقعيين ويؤمنون بحرية السوق والتجارة

وأولوية المصالح على المبادئ والحقوق التاريخية والقانونية، بدأ الأمريكيون يتعاونون مع الجامعة كجهاز بيروقـــراطي يستفاد منه عند الضرورة في تخفيف صياغة بيان سياسي أو تشديد لهجة بيان تنديد بالإرهاب أو بغيره أو لتعريب مواقف غير عربية في الأساس. وعلى كل حال لم تحقق الجامعة للغرب هذه الرغبة جميعها، ربما لأسباب "قومية" لا يريد أحد الاعتراف بوجودها.

وعلى كل حال، لم تأت الريح بما تشتهي سفينة **دانيال بيـــل**، ففي روسيا مثلاً، رحلت الشيوعية وانتشى علماء السياسة الأمريكية برحيلها، إلا أنهم تجاهلوا أنه بعد سنوات من الضياع والفساد والجريمة وسقوط مئات الألوف من أبناء الشعب الروسي موتى من الجوع وإدمان الكحول، وقع "انقلاب أبيض" في الكرملين وجاء إلى الحكم رجل أنعش القومية الروسية واستعاد للكنيسة الأرثوذكسية دورها في مجتمع ما قبل البلشفية، لأنه عرف أنه لن ينقذ روسيا من الغرق إلا وجود إيديولوجيا ما، وطالما أن الشيـــوعية لم تعد نافعة ولا تستعاد على كل حال، فإنه لجأ إلى الشعور الوطني وقومية الشعب الروسي وإلى المؤسسة التي ربطت تاريخها بتاريخ الأمة الروسية، وهي الكنيسة الأرثوذكسية، وبهذا المزيج الأيديولوجي العلماني الديني بدأت عملية الإنقاذ.

وفي الصين وقع شيء مماثل مع اختلاف في التفاصيل الدقيقة، إذ كان المسؤولون الصينيون ولأسباب مهمة لا يملكون القدرة ولا الإرادة لإنكار وجود أيديولوجيا شيوعية، فالحزب الحاكم في الصين يفقد شرعيته للحكم إن تنكر لعقيدته التي أقامته. ومن ناحية أخرى كان لابد من إنعاش قومية صينية لتعوض قصور الالتزام بالأيديولوجيا الشيوعية، ولتحفيز الناس على خوض المرحلة الانتقالية اضطرت القيادة الحاكمة إلى افتعال أزمات مع اليـــابان، الخصم التاريخي للشعب الصيـــني بسبب الحاجة الماســـة في تلك اللحظة إلى غطاء في شكل مبرر وطني يحمي الحكومة من غضب الفلاحين وَقود النظام الاقتصادي الجديد. ومع ذلك يصر علماء السياسة في الغرب على تأكيد أن الأيديولوجيا ماتت في الصين.

يتجاهلون، ويتجاهل أغلبنا حقيقة أن الأمريكيين، حكومة وشعباً، يتحركون وفق الأيديولوجيا الرأسمالية. إن ما بشَّر به الرئيس بوش وحكومته الحـــــرب باسمه هو الأيديولوجيا الأمريكية بجوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية..

يتجاهلون ويتجاهل أغلبنا أحياناً أن حكومات متعددة في آســيا والشــرق الأوسط لا تزال، أو صارت تستند في شرعيتها إلى العقيدة الإسلامية، أي إلى أيديولوجيا، والأمريكيون أنفسهم أقاموا حكومة دينية في العراق الذي قالوا إنهم حرروه من "القومية". أي شجعوا أيديولوجيا على حساب إيديولوجيا أخرى.

إننا نفكر أيديولوجياً أحياناً من دون أن نعترف بذلك، حتى البراجماتيين يفكرون من منطلق أيديو ــلوجي، فالبرجمــاتية عندما تكتمل نظاماً فكرياً أو في الممارسة تصير في حد ذاتها التزاماً يقترب من الالتزام الأيديولوجي. جاء في التحليل الممتاز أن الموجة الأولى للعولمة التي رافقت حملات الغزو البحري للدول الاستعمارية القديمة فتحت باب الهجرة إلى الولايات المتحدة بأعداد هائلة، وكان دافعها القمع لأسباب دينية إلى جانب الفقر الشديد. وفي الموجة الثانية التي بدأت في أواسط القرن التاسع عشر ثم نهايته تحرك في اتجاهات مختلفة أكثر من 10% من سكان العــالم، وكانوا في أغلبيتهم العظـــمى من الفقــراء. أما في الموجة الثالثة، وهي التي نعيش أيامها، فلم تزد نسبة المهاجــرين في كافة أنحاء العالم على 3% فقط من سكان العالــم، حتى بدت عولمة اليــوم عولمة في عالم ساكن. وتتكاثر الأسئلة؛ هل نفهم من هذا التحليل أن الفقر، وهو أصل الهجرات التاريخية المعروفة، ينحسر، أم أن المجتمعات الإنسانية في شكل الدول اكتمل تشكيلها وصارت ترفض إضافات من أجناس وأعراق وأديان أخرى، أم أن الأسوار ودفاعات الدول صارت عقبة أخطر وأشد مشقة من ركوب البحار والمحيطات؟

يتجاوز القائل بهذا التحليل الحقيقة عندما يؤكد أنه لا ينطلق في تحليله من بدايات أيديولوجية، فالتحليل يعتمد منهجاً أيديولوجياً، ويخدم وإن من دون قصد هدفاً أيديولوجياً.

3.1 علاقة الإيديولوجية بالنص الروائي الجزائري

أصبحت الرواية الجزائرية منذ بداياتها الأولى مرتبطة ارتباطا وثيقا بالواقع السياسي المضطرب، وكان الموضوع الذي يتناوله جلُّ الروائــيين يتضمن القضايا السياسية سواء أكانت هذه القضايا مرتبطة بحدث الاستعمار أو بعد الاستقلال مما أدى بالمبدع أن يحدد موقفه السياسي من خلال أعماله الإبداعية، هذا ما جعل الرواية الجزائرية تتفاعل مع واقع تتعدد اتجاهاته الإيديولوجية .

لقد أصبح الروائي الجزائري ينتقل من الخطاب الروائي إلي الخطاب الإيديولوجي لأنه خطاب يقوم على توظيف النص الأدبي لصالحه. هذا من جهة، و من جهة أخرى ظهر في هذه الفترة الخطاب النقدي الذي تضمن إيديولوجية معينة يعمل على تأسيس الأدب وتوجيهه وفق رؤيا إيديولوجية، مما أدى من خلال هذا التحول إلي دفع النص الروائي إلي الاهتمام بالهموم الاجتماعية و إهمال اللغة التي كانت من أول اهتمامات الكاتب في عمله الأدبي، فأصبح المضمون الاجتماعي مسيطر على النص .

لقد كانت معظم الروايات في مرحلة تأسيسها ارتبطت بالإيديولوجية الاشتراكية كرؤية فكرية لتوجيه الفن وربطه بالتحولات الاجتماعية مما عمق الوعي الإيديولوجي لدى مجموعة من الكتاب، فـَ" رواية **التسعينات مازالت مشدودة لتلك الرؤية الإيديولوجية وهذا راجع للوضع المأساوي الذي يمر به الوطن و هذا ما ترك بصمات علي الفن** "[19] إذ نجد أن كل الروايات عكست ما تعرض له المجتمع بصبغة فنية حملت أثرا إيديولوجيا. إن الإيديولوجية عبارة عن منظومة لأفكار وقيم تسعى إلي تحقيقها جماعة ما، أو مجموعة المواقف التي تدعو إليه وتدافع عنها و تستخدمها من اجل تحقيق أغراضها، لذا يَتساءل عن علاقة الفن بالواقع أي علاقة ما هو اجتماعي بما هو فني .

إن الخطاب الروائي مهما كان مضمونه لا يبتعد عن الإيديـــولوجيا نظـــرا لقربه من الحياة الاجتماعية وما تتوفر عليه شخصياته من مواقف إيديولوجية، فالإيديولوجية هي " **نمط علاقات الناس، عاداتهم أفكارهم وأخلاقهم** "[20] وهذا يعني أن شخصيات العمل الروائي تحمل في وعيها بعدا إيديولوجيا تجسده في عاداتهم وأفكارهم. وعليه، فالخطاب الروائي هو تعبير عن رؤية العالَم بصورة أو بأخرى، لذا يتوجب على المبدع أن يبرز تلك الرؤية و يبلورتها في أفضل صورة .

لقد كانت علاقة الإيديولوجيا بالنص الروائي علاقة متينة، إذ لا يمكن الفصل بينهما، فكل رواية تحمل بداخلها إيديولوجيا يجسدها الروائي في روايته، كونه مثقف، لديه وعي اجتماعي وثقافي وسياسي اتجاه بعض القضايا، فيصور الكاتب موقفه المؤيد أوالرافض من خلال إيديولوجيته التي يتبناها في روايته من اجل تغيير الواقع والارتقاء به

[19] ـ بوداود وذناني ، الثابت الإيديولوجي في الكتابة الروائية عند الطاهر وطار ــ مقاربة في رواية الشمعة والدهاليز ـ ص146
[20] ـ محمد كامل الخطيب ، الرواية والواقع ،دار الحداثة ،ط1، 1981 ، ص108

إلي مستوى أفضل. هذا ما أكده علال سنقورة بقوله: " **إن الحكم على الأعمال الروائية حسب الآراء السابقة ينطلق دائما من الوظيفة السوسيولوجية و الإيديولوجية التي يبلغها النص الروائي**"[21]، فكل كاتب لديه موقف إيديولوجي يريد أن يوصله إلي القــراء من خلال كتاباته، فالرواية تحمل في طياتها واقع المجتمع الذي يعيش فيه الروائي، لأن الإنسان ابن بيئته، يتأثر بالمجتمع، ويؤثر فيه.

إن الإيديولوجية التي تحملها الرواية لا تعكس لنا إيديولوجية الواقع لأنها تجسد موقف الكاتب الإيديولوجي الرافض لذالك الواقع الذي يسعي إلى تغييره من خلال أفكاره الإيديولوجية، يقول محمد كامل الخطيب:"**إن الرواية لا تعكس إيديولوجيات الواقع، ولكنها تندرج هي نفسها في الحقل الإيديولوجي، لأنها مغامرة فكرية في خضم الصراع الإنساني**"[22]. إن النص الروائي هو جزء من الحياة التي يعيشها الفرد في داخله أوما تعيشه الجماعة من مخيلة الروائي، والإيديولوجيا التي يجسدها الكاتب في روايته هي مناقضة لإيديولوجية الواقع، لأنها تصور لنا رؤية الكاتب لذالك الواقع و صراعه. يقول سنقوقة في هذا الشأن: "**الإيديولوجيات التي تستنتجها بعد قراءة الرواية في مختلف أبعادها الإيديولوجية المتصارعة هي المكونة لرؤية الكاتب** "[23]، وكذالك الرواية فهي "**ليست تصويرا للواقع الذي نعرفه،إنها عالم متخيل يخلقه الروائي، والفن الروائيلا يقدم الحقيقة الواقعية، و لكنه يقدم إيهاما بالحقيقة** "[24]. الرواية لا تصور لنا الواقع كما هو وإنما الروائي هو الذي يصوره حسب مخيلته، فهو واقع خيالي يجسده من خلال إيديولوجيته الرافضة .

أغلب الروايات تناولت القمع الذي مارسته السلطة على الشعب فقد " **كان رجل السلطة مهما كانت مرتبته متهم في الرواية بالقمع، يؤديه كجزء من وظيفته، تبني الرواية هذه الشخصيات بطريقة تنسجم مع وظيفتها في النص وهي القمع** "[25]حيث اتخذت السلطة العنف كإيديولوجية لتحافظ على الحكم رغم وظيفتها المتمثلة في حماية الناس.

---

[21] ـ علال سنقوقة ، المتخيل و السلطة في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسية ، نشر رابطة كتاب الاختلاف، الجزائر ،ط1 ،جوان 2000، ص27

[22] ـ م ، ن ،ص39

[23] ـ علال سنقوقة ، المتخيل والسلطة ،ص40

[24] ـ م ، ن ، ص36

[25] ـ شريف حبيلة : الرواية والعنف ، دراسة سوسيو نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة ،الأردن ،ط1 ،2010 ، ص183

من الروايات التي تناولت العنف والقهر والاستغلال نذكر رواية" **كراف الخطايا لعبدالله عيسى، سيدة المقام لواسيني الأعرج، بين فكي...وطن لزهرة ديك**" إذ تجسد هذه الروايات الثلاث إيديولوجية العنف التي تمارس علي المرأة الجزائرية، باعتبارها أداة لإشباع رغباته الجنسية، فأغلب الروايات تناولت قضية المرأة ووظيفتها ووضعيتها في المجتمع الجزائري ، ونظرة الرجل إليها .

في الأخير نستنتج أن الرواية الجزائرية لا يمكن أن تنفصل عن الإيديولوجيا لأنها تعتبر المتنفس الوحيد الذي يعتمد عليه الكاتب ليعبر عما يعاني منه الشعب في ظل السلطة التي تحكم البلاد لمصلحتها و تتـــناسى مهامها الأساسية.

لقد اختلفت الرواية في الجزائر من مرحلة إلى أخرى حيث مرت بمراحل عديدة منها رواية السبعينات والثمانينات ثم التسعينات ولكل فترة مميزاتها الخاصة، لذالك قبل أن يكون حديثنا عن عـــلاقة الرواية بالإيديولوجيـــة سنعرج على مسارها التاريخي في الجزائر.

1.3.1 الرواية الجزائرية في السبعينيات

كانت الرواية في الجزائر غير منفصلة عن نشأتها في الوطن العربي حيث لها جذور عربية إسلامية مشتركة، وأول عمل روائي جزائري هو **حكاية العشاق في الحب والاشتياق** لصاحبه محمد بن إبراهيم سنة 1849، ثم تبعته محاولات أخرى، و كانت الرواية الجزائرية في فترة السبعينيات قد سايرت الواقع الجزائري ونقلت مختلف التغيرات والعوامل التي أسهمت في إحداث هذا التغيـــير، فصبغت الرواية الجزائرية بصبغة ثورية خاصة ثورة ضد الاستعمار الفرنسي. وكذلك نجد أنها سايرت النظام الاشتراكي الذي انطلق فيه الروائي من الواقع الذي عاشه ويعايشه في زمن من الأزمنة فأطلق عليه **أدب الأزمنة** .

لقد كانت فترة السبعينيات فترة ظهور رواية ناضجة فنية، يتجلى ذلك من خلال أعمال **عبد الحميد بن هدوقة** في روايته **ريح الجنوب، ما لا تدروه الرياح** لمحمد **عرعار، اللاز لطاهر وطار.** من خلال هذه الأعمال أصبحت الرواية الجزائرية لها مكانة في الأدب

العربي و حتى العالمي، وأصبحت متفتحة على اللغة العربية بعدما كانت أثناء الاستعمار تعاني من تشويه لغوي و ذلك نظرا لتعلم شعبه باللغة الفرنسية التي فرضت عليه .

تميزت الرواية في هذه الفترة بشجاعة الطرح والمغامرة الفنية، هذه نتيجة الحرية التي اكتسبها الكاتب بفعل الواقع السياسي الجديد الذي كان مناقضا للواقع السياسي الاستعماري في هذه الفترة، و تتميز كتابات الرواد الأوائل الذين أسسوا هذه الروايات الحديثة بطابع سياسي، ذلك لانخراطهم فيه ومعايشة الحدث والمساهمة فيه، فهم كانـــوا من جيل الثورة والاستقلال، لذلك تمتعوا بحصانة وتجربة رصيدهم كما قال أبو قاسم سعد الله "**رصيد الثورة ونضج سياسي وتجربة نضالية** " [26] مما جعلهم يجمعون بين الإبداع والتجربة السياسية، نجد **ابن هدوقة** ممثلا لحزب أنصار الديمقراطية وحركة الطلاب الجزائري بتونس كذالك كان منخرطا في حزب جبهة التحرير، كما اشتغل في الإذاعة بعد الاستقلال. أما **الطاهر وطَّـــار** فكان عضوا في جبهة التحرير، و قد اشتغل في السياسة والصحافة التونسية.

2.3.1 الرواية الجزائرية في الثمانيات

لقد كانت الرواية في هذه الفترة يسودها نوع من التجديد، حيث اتجه مثل هذا الجيل اتجاها تجديديا في هذا النمط الأدبي الجزائري. ومن التجارب الروائية في هذه الفترة نذكر تجربة **واسيني الأعرج** في رواياته" **واقع الأحذية الخشنة**" **1981 و** "**أوجاع رجل غامر صوب البحر**" **1983 و**" **نوار اللوز**" **1982.**

و في هذه الفـــترة أخرج واسيني الأعرج نمطا روائيا تحت عنوان "**ما تبـــقى من سيرة لخضر حمـــروش**"1983 الذي يهدر فيها دم الشيوعي" لخضر"، وهو من الشخصيات السياسية الأساسية في الرواية، وهذه الرواية مثلت النظرة النقدية للتاريخ الرسمي الجزائري. ومن الأعمال الروائية التي ظهرت في هذه الفترة أيضا نجد" **رائحة الكلب**" **1985**،" **حمائم الشفق**" **1988**، كما كتب **مـــرزاق** " **البزاق**" **1982** و" **عزوز الكبران**" **1989**، " **الذي يقف فيها شيخ الجامع وهو شخصية من شخصيات الـــرواية، و يعد رمزا للتيار السلفي المتضامن مع النزعة الوطنية، ممثلا للفكرة الوطنية الموحدة**

1_احمد فريحات ،اصوات ثقافية في المغرب العربي،الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع لبنان ،ط1 1984 ص87

في الجوانب الإيديولوجية المتباينة، في هذه الرواية يلتقي المعلم وهو من الشخصيات الأساسية بهذا الشيخ في الزنزانة وقت صلاة الظهر، حيث يؤنب شيخ الجامع هذا المعلم و يخبره بأنه غير راض عليه، لأنه في رأيه لا يعلم الأطفال ما ينبغي تعليمه، وهو أن يعلمهم الحقيقة و كذا التمرد على حاكم مثل عزوز الكابـــران "[27]

و قد أخرج **رشيد بوجـــــدرة** في هذه الفترة أيضا عدة أعمال روائية نذكر منها "**التفكك**"، أما "**الطاهر وطار**" فقد تابع كتابة " **اللاز**" **وهي تجربة العشق والموت في الزمن الحراشي سنة 1980 الذي يرسم فيه مآل الثورة** "[28].

إن ما نلحظه على الكثير من النصوص هو احتفاؤها بموضع الثورة وتمجيدها وقد تحقق الاستقلال من منظور ذاتي ضخم هذه الثورة وعظمتها إلى حد اعتبارها أسطورة ، ونزّه الرجال الذين قاموا بها من كل المذلات والأخطاء إلى حد العصمة، وهذا ما تعكسه روايات "**الانفجار**" **1984**، ورواية" **زمن العشق والأخطار**" **1988**، **الانهيار 1986** ، ورواية" **الألواح تحترق** " **1982 لمحمد رتيلي** ،" **الشمس تتلال**" **لمحمد مرتاض** ، وأخيرا النصوص الروائية التي أسهمت في تكريس إيديولوجية السلطة المهيمنة، وهو الموقف الذي لم تلتزم به الكثير من التجارب الروائية التي تناولت هي الأخرى ثورة التحرير قبل الاستقلال وبعده من منظور نقدي، وهو ما عبرت عنه تجارب **الطاهر وطار، واسيني الأعرج** ، **رشيد بوجدرة، جيلالي خلاص، و لحبيب السايح** ، وغيرهم من كتاب هذا الجيل الجديد .

3.3.1 الرواية الجزائرية في التسعينيات :

فترة التسعيـــنيات حافلة بالروايـــات التي تحـــاول أن تأسس لنص روائي يبحث عن تمـــيز إبداعي مرتبط ارتباطا عضويا بالمرحلة التاريخية التي أنتجته، و بالواقع الاجتماعي الذي شكل الأرضية، واستطاع من خلالها الروائيون أن يستلهموا الأحداث والشخصيات من أجل قراءة مرهونة بالظرف التاريخي الصعب، كما تصور رواية التسعينيات وضعية المثقف الذي وجد نفسه سجينا بين نار السلطة وجحيم الإرهاب، حيث أصبحت الرواية في هذه الفترة مشدودة لتلك الرؤية الإيديولوجية .

---

[27] ـ بن جمعة بوشوشة ، التجريب و حداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية ، المطبعة المغاربية لنشر ،تونس ،ط1 ، سنة 2000 ،ص9

[28] ـ نبيل سليمان ، التجريب في الرواية الجزائرية ، ص68

سلكت الرواية الجزائرية خلال السنوات الماضية منعرجا آخر عالجت فيه الأزمة التي أصابت المجتمع الجزائري فاتخذت المأساة موضوعا لها .

و موضوع الرواية في هذه الفترة كان يدور حول "**العنف أي الإرهاب إلا أن هذا العنف لم يكن الطابع الوحيد الذي طبع في السنوات الماضية إذ لم تكن عشرية الأزمنة فقط بل كذاك كانت عشرية التحول نحو اقتصاد السوق و تسريح العمال، وإلغاء انتخابات 1992** "[29] مما أدى إلى ظهور رواية المعارضة كبديل عن رواية السلطة التي فقدت هيبتها بعد أحداث أكتوبر 1988، وبذلك فسحت المجال لرواية المعارضة خاصة بعد توفير مناخ من الحرية الذي أفرزه دخول الجزائر مرحلة اختيار جديدة، و جاءت التعددية الحزبية كما أعطيت حرية التعبير في الدستور فأصبح النص الروائي بذلك ملزما بالتجديد، كما كان الروائي الصوت المعبر عن هموم الشعب الجزائري.

و من الروايات التي تناولت العنف السياسي وآثاره اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا **الشمعة والدهاليز** للطاهر وطار، **سيدة المقام** لواسيني الأعرج. وقد بحثت هذه الروايات عن جذور الأزمة وفضحت الممارسات التي تبعتها. و من الروائيين الآخرين الذين كتبوا في المأساة الوطنية إبراهيم سعدي في فتأوي زمن الموت، ومحمد ساري في الورم، بشير مفتي في المراسيم والجنائز. و قد صور لنا واسيني الأعرج في روايته **سيدة المقام** معاناة مريم التي ترمز للمرأة الجزائرية "الصامدة، ويرجع سبب المعاناة إلى النظام والتيار المظلم المعادي لكل مظاهر التقدم والتحضر، فقد قال فيه مخلوف عامر: "**إن الإرهـــاب في سيدة المقام ليس حدثا عابرا بل أحد مكونات المدينة الروائية فهو عنصر حاضر فيها إذ يعطينا بعدها التاريخي والإيديولوجي والسياسي من غير أن يفرط فيما تقتضيه الكتابة الأدبية من خصوصية فنية**"[30] .

فالرواية هي إذن شهادة على واقع، و شهادة على حضور ذات المثقف المعذبة ، نجد الطاهر وطار في الشمعة والدهاليز يدخل القارئ في دهاليز متعددة تؤدي إلى تعدد التساؤلات المحيرة، حيث نجد في الرواية أن عنصر الشر يتغلب على عنصر الخير، ولكن الشمعة رغم ذلك تضيء .

---

[29] ـ إبراهيم سعدي ، تسعينات الجزائر كنص سردي ، الملتق الدولي السابع عبد الحميد بن هدوقة للرواية ، أعمال /بحوث /مجموعة محاضرات الملتقى الدولي السادس ، ص143،145

[30] ـ مخلوف عامر ، أثر الإرهاب في الكتابة الروائية ،مجلة عالم الفكر ، المجلد 22 ، العدد الأول سبتمبر 1999، ص 316

في الأخير نخلص إلى أن الخطاب الروائي السياسي في الجزائر هو وليد الأفكار السياسية والوطنية، وأن الرواية الجزائـــــــرية واكبت التحولات السياسية في المجتمع من مراحله المختلفة، فتناولت الرواية السياسية في فترة السبعينـــيات و ما تمـــيزت به من مميزات مرورا بعقد الثمانينيات وصولا إلى عقد التسعينيات الذي كان حافلا بمختلف التطورات والأحداث خصوصا في الميدان الأمني والسياسي. أما فيما يخص المستوى الأدبي فقد ظهر نوع من الكتابة الروائية يتناول **رواية المحنة** أو **الأزمة** الذي خاض فيها العديد من كبار الروائيين أمثال **واسيني الأعرج، أحلام مستغانمي، رشيد بوجدرة، الطاهر وطار و بشير مفتي .**

الفصـــــل الثاني

2

تجليات الصـــراع الإيديولوجي في الرواية الجزائـــــرية

1.2 ملخص الرواية

تبدأ رواية سيدة المقام " لواسيني الأعرج " بحكاية البطلة مريم منذ إصابتها برصاصة طائشة في الرأس ، تستقر في دماغها و يخبرها الأطباء بأنه يصعب استخراجها. و قد حدث ذلك في أكتوبر 1988 لتصبح تلك الرصاصة علامة تدل على التحولات الحاصلة في زمن الإنسان الجزائري الذي دخل مرحلة جديدة من عمره يميزها عدم الاستقرارالسياسي وكذا العنف، فتلك الرصاصة من جهة تمثل وعي المواطن من الاستغلال التي تمارسه السلطة على الشعب، ومن جهة أخرى تجسد موقف الراوي من تلك الأحداث التي يميزها العنف انطلاقا من الوعي الذي أنتجته الإيديولوجيا التي تبناها كمثقف رافضا ما كان يحدث في الجزائر .

ارتبط هذا التاريخ بمظاهرة تندد بفساد السلطة و ثرائها الفاحش، واستغلالها فقر وجهل الشعب لخدمة مصالحها الخاصة. و يبـين لنا واسيني من خلال روايته أن تلك الرصاصة الطائشة التي أصابت مريم في رأسها هي محاولة لاغتيال امرأة مثقفة لديها وعي وموقف إيديولوجي رافض للوضع السائد الذي كانت تفرضه السلطات، و متمردة على عادات وتقاليد المجتمع، و رافضة للفكر الذي أن يرى أن موضع المرأة هو البيت حيث تظل خادمة لزوجها و أبنائها.

كانت مريم شخصية محورية، متحدية و رافضة لكل ما كان يحدث في الجزائـــر ، خاصة بعد أحداث أكتوبر 1988 ، ورغم تحذيرات الأطباء لها إلا أنها تحضر رقصتها شهرزاد رمز تحقيق أنوثتها مؤدية لها في ربيع الجزائر، و لذالك قاومت هذه الأنثى بوعيها الإيديولوجي عنف زمن اللاستقـرار الذي خلقه الوافدون الجدد، أو كما سماهم واسيني "حراس النوايا "، ويقصد بهم تلك الجماعات الدينية المتعصبة للدين، وموقفهم الرافض لتحرر المرأة، وتكريسهم للجهل بغلق المراكز الثقافية، و تهميش المثقف، مما أدى إلى تأزُّم الوضع الثقافي في الجزائر

وقد عمل الكاتب على تصوير معاناة مريم الشديدة بسبب تلك الرصاصة الملعونة التي استقرت في دماغها وهي تستعرض أحلامها و آمالها اتجاه مستقبل وطنها، وكأن واسيني الأعرج يريد أن يظهر لنا استحالة الوصول إلى حل لتلك الأزمة التي وصلت إليها الجزائر. و مريم ليست سوى الجزائر التي حلمت منذ الثورة بالحرية و الاستقرار، لكن حلمها تبخر مع أحداث العشرية السوداء لتسقط في متاهات الظلمة .

بعد أن لفظت مريم أنفاسها الأخيرة دخل الراوي في أزمة نفسية ضاع في شوارع الجزائر، فقاده هذا الضياع إلى جسر تليملي بعد أن فقد كل شي، حيث ضيق حراس النوايا وبنو كلبون كل أفاق الحرية الشخصية وحرية التعبير و التفكير حتي في المأكل و الملبس،

ووصل به الإحباط إلي درجة أن أكل بطاقة هويته، و رمى بجواز سفره من أعلى الجسر كما قام برمي فصول روايته من فوق الجسر يائسا من عدم الجدوى في مجتمع لا يقـــرأ ولا يرغب في القراءة .

2.2 الراهـــن الثقـــافي

لقد انبني خطاب "سيدة المقام" على نمطين متقابلين من الوعي، الوعي الممكن، والوعي التام، هذا الأخير هو الوضع الذي كان سائدا في المجتمع الذي تفرضه السلطة، والجماعات الدينية لتحقيق مصالحها الشخصية، ويظهر ذلك من خلال إيديولوجية الجماعات الدينية التي يميزها العنف، ويتجلى ذلك في وصف الكاتب لتلك الجماعات الدينية " **القبعة الأفغانية، و نعالة بومنتل، والقشابية، والمعطف الأمريكي من فوق، ونفي العصر والحضارة من ذاكرة الناس، نتشممهم من بعيد، فنغير المعابر و الطرقات، رائحة عطورهم القاسية والعنيفة تستقم**"[31]. يصورلنا واسيني الأعرج نوع التفكير تلك الجماعات التي تقوم على إلغاء الحاضر، ونفي العصر والحضارة، والذوبان في الماضي.

ويصور لنا الكاتب إيديولوجيات تلك الجماعات التي يميزها العنف والقهر، إذ يرهبون من ينافسهم في معتقداتهم الثابتة "**من صفاتهم أنهم يقرؤون في عينيك ما تفكر بهم، ولا يهم إذ كان صحيحا، أو غير صحيح، المهم أنهم فكروا أنك على خطـــأ، فيجب أن تكون علي خطأ بدون ثرثـــرة** "[32]. هذا ما حدث للروائي عندما دخل في مناقشة معهم، انتهى به الأمر إلى رميه في مزبلة، كما يخبرنا أن بني كلبون هم الذين أسسوا هذه الإستراتيجية، حيث قال"**ملؤوا المكتبات بالمطبوعات التي تستعيد الخرفات، والدروشات، قالوا ليعيش الفراغ، أحسن من أن يفكروا في السلطة**"[33]، وهي إستراتيجية اتخذتها السلطة القمعية لتنويم الناس عوض التفكير في السلطة .

أما الوعي الممكن فتجسده الشخصيات المثقفة،الأستاذ(الروائي)، والبطلة(مريم)، إذ يحملون وعيا وموقفا إيديولوجيا رافضا لهذا الوضع القائم، لذالك يسعون لتغـــييره من خلال الكتابة، وتوعية الجماهير من اجل تغيـــير يمس جميع المجالات، السياسية، الاجتماعية ، الاقتصادية ، والثقافية ، وبناء مستقبل أفضل.

---

[31]- واسيني الأعرج ، سيدة المقام ص11

[32] -المصدر نفسه ص 220

[33] -المصدر نفسه ص 228

تجسد لنا الرواية بأحداثها الوضع الثقافي في الجزائر خاصة بعد الأزمة السياسية في أكتوبر 1988، وسيطرة الجماعات الدينية على البلاد، إضافة إلى الحكم الاستبدادي الذي مارسته السلطة على الشعب فئة المثقفين بالخصوص، والوضعية التي تعيشها الجزائر من تخلف ثقافي، كان لكل شرائح المجتمع الجزائري دور في خلق هذه الوضعية، التي آل إليها المجتمع الجزائري، المثقف يضطهد المثقف، السلطة تقمع المثقف ليزيد ظهور الإسلاميين الظروف تأزما، وذلك في الشخصيات الموجودة في الرواية حمـــــودة (زوج مريم)، ثم بني كلبون المتمثل في السلطة القمعية، والجماعات الدينية(حراس النوايا) مما جعل المثقف يعيش غربتين، غربة نفسية يشعر أنه غريب عن أهله " **وتجد نفسك في مواجهة وجوه كادحة مليئة بالأفواه مثل الأفاعي، التي تطلق النار من مناخرها؟ هل سبق أن شعرت بداخلك نار تحترق بركانا، تبحث عن دمعة تطفئ بها هذه النيران**"[34] ويقول في موضع أخر"**ما أصعبك في هذا الفراغ المقلق الفنان المتوحد و الوحيد**"[35]، وغربة اجتماعية إذ يرى الفنان نفسه كحالة خاصة أمام أقرانه في المجتمع.

لقد جعل واسيني شخصياته المحورية الروائي(الأستاذ)، و مريم محبة للثقافة، وأما بنو كلبون، و حراس النوايا أعداء للثقافة .

تظهر مريم كرمز للشموخ متحدية كل الضغوطات والعراقيل التي مارستها السلطة والجماعات الدينية علي المثقفين، مريم هذه الشابة المجنونة التي تحب الرقص، ليكلفها ذلك حياتها بسبب تلك الرصاصة " **الرصاصة الملعونة، التي فككت بني كلبون، وجاءت بحراس النوايا إلى الواجهة** "[36]. أن شخصية مريم أنموذج لتلك العينة القليلة من فئات المتحررة المتعلمة، والمتحررة في الجزائر هي تلك التي تضرب بالعادات عرض الحائط، وقد لخص الروائي هذا الصراع في حوار جرئ بين مريم (راقصة بالي) ، وحمودة كعينة من المجتمع الجزائري المتمسك بالعادات والتقاليد. تقول مريم "**اسمع يا خويا، تعرفني مجنونة على الموسيقى والرقص، بالعكس البالي عظيم، وصاف في سيـــــنما الأطلس و الأوبرا، كنت مندهشة، وتقاوم هدرة الناس القاسية، اللي يدير علي الناس يبات بلا عشـــا**"[37]. يبدو في كلام مريم هذا ما يدل على أن المجتمع لا يرحم، فرغم أن حمودة

[34] ـ واسيني الأعرج ، سيدة المقام ص69
[35] المصدر نفسه ص102
[36] المصدر نفسه ص250
[37] ـ واسيني الأعرج، سيدة المقام ص103

متحصل علي شهادة ليساس في الحقوق،إلا أنه متعصب للعادات والتقاليد إلى حد التقديس، فالفنان في نضره فاسق لا دين له، وخاصة إذا كان امرأة، لأن المجتمع تعود أن يراها قابعة في البيت، تخدم فقط زوجها لا أقل ولا أكثر .

لقد تأثرت الفئة المثقفة بالحركات السياسية التي كان من شأنها القوة، والسيطرة "**لا تخرج السلطة عن مفهوم الإخضاع، والسيطرة، وتحقيق المصلحة الخاصة، ونفي مصلحة الآخر/العامة وسيلتها ومنطلقها واحد هو القوة** "[38] ، كما قامت هذه الجماعات بتهديد أناطـــوليا وهي أستاذة مـــــريم في البالي بالقتل، وقد قدمت شكوى ضدها كانت في قرارات نفسها تعلم أنها لا جدوى من كل هذه النقاشات، " **لم تعلق كثيرا، لأنها كانت تعرف البقية، أن أصبحت المؤسسات الثقافية محل صراع سياسي** "[39]. الروائي هنا يحمل السلطة مسؤولية إخفاق الثقافة، كما يصور لنا كيفية استبدال السلطة الجزائرية الثقافة **بالنار** والموت، لأن ذلك يضمن بقائها.

في ضوء هذه الحالة التي عاشها المجتمع الجزائري من تخلف ثقافي، انتشرت الأمية في صفوف المواطنين، وكان هذا هدف السلطة الخفي التي تقول " **رجل يفكر معناه مشكلة إضافية** " [40]. ومن هنا أصبحت القراءة والكتابة محتكرة على فئة قليلة في المجتمع، وهذا ما يؤكده ساري في كتابه(محنة الكتابة) قائلا:"**أدركت السلطة بأن الكتابة غـــير مؤثرة، ولا تزعجها في شئ، لأن هذه الجرائد و المجالات ، لا تملك مقروئية واسعة** "[41]، فهذه الفئة تمثل "**حلقة صغيرة من الأفراد و هم الذين يهتمون بالثقافة، وهم في الغالب يشكلون دائرة ضيقة يحتل الكاتب بمختلف مشاربهم النسبة الغالبة** "[42]، فالمشاكل الاقتصادية والاجتماعية المتفاقمة احتلت مرتبة الصدارة في حياة الشعب الجزائري، ولذالك لم يول اهتمامهم للثقافة والتعليم .

إن الوضع الثقافي الذي كان خاضعا للواقع السياسي جعل الثقافة تحمل كل التناقضات وحالة الفوضى فالسلطة القمعية عوضت الثقافة بالجهل والموت، وهذا يضمن مصالحها، فالمثقف يتعرض لكل التهميشات واللامبالاة والاختراقات في حقه، كما يهدد بالقتل نظرا

---

[38] ـالشريف حبيلة ، الرواية و العنف ، دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة ، الأردن ، ط1 2010 ، ص165

[39] ـوسيني الأعرج ، سيدة المقام ص188

[40] ـواسيني الأعرج ، سيدة المقام ، ص 215 ، 216

[41] ـمحمد ساري ،محنة الكتابة ، منشورات البرزخ ، الجزائر ، ط ماي 2007 ، ص 54، 55

[42] ـالمصدر نفسه ، ص53

لأهميته، ودوره الكبير في توعية الجماهير، هذا ما يؤكده الروائي من خلال موقفه الإيديولوجي الرافض لهذا الاضطهاد الذي مارسته السلطة على المثقف كونه مثقف لديه وعي إيديولوجي، وهذا ما جسده من خلال تعليقاته "**ما أحوجك في هذه المدينة المنهكة، إلي لحظة واحدة، يتعطل فيها فكرك** "[43]. وفي قوله"**كل شي يدعوا إلى حالة يأس مطلقة**"[44].

إن معاداة بني كلبون وحراس النوايا للثقافة وراثية تسري في دمائهم "**هذه البلاد تربت على معاداة الثقافة شي ما في دماغها يقودها...العدوانية**"[45]. تتجمع كل هذه العوامل لتجعل المثقف في حالة يأس وقلق إثــر هذه الاهانات والضغوطات، فالسلطة بمثابة العائق في وجه المثقف، حيث نجد المجلات، والجرائد التي كانت تصدرها تحت رقابتها الصارمة "**كان الكتاب يشكلون نخبة تستخدمها السلطة للنشاطات الثقافية، والأدبية، لملء صفحات الجرائد، وإحياء الملتقيات الثقافية والأدبية، نخبة قريبة من السلطة، وبعيدة عن الجماهير** "[46]، فالسلطة عرفت أهمية المثقف ودوره الكبير في توعية الجماهير، لذلك لجأت إلى إغرائه بالأموال كي تستخدمه لأغراضها الشخصية، كما تقوم بمنع المثقفين الآخرين من حرية التعبير، و يعد الروائي واسيني الأعرج الذي وقف في وجه السلطة واحدا منهم، ولكن في النهـــاية كان الثمن غاليا جــدا، ورغم ذلك زرع نوعا من الوعي بين أوساط الشعب مما جعلهم "**يشكلون نخبة حول اتحاد الكتاب والصفحات للثقافة، يتحركون ضمن ما تسمح به السلطة** " [47]. إذن فالسلطة في يدها زمام الأمور.

[43] ـواسيني الأعرج ، سيدة المقام ،ص 69
[44] ـالمصدر نفسه ، ص161
[45] ـالمصدر نفسه، ص75
[46] ـمحمد ساري ، محنة الكتابة ،ص 54
[47] ـالمرجع، نفسه ، ص53

3.2 ـ الراهن السياسي

1.3.2 النظام الاشتراكي

لقد كان خمسة جويلية 1962 بمثابة نهاية ليل طويل مظلم جثم على الجزائر ردحًا من الزمن، و بداية عهد الجزائر المستقلة التي عاشت قبيل استقلالها الأزمة و الصراع على السلطة و على النموذج الذي سيرسم وجه الجزائر المستقلة. لقد كان لهذا الصراع الأثر البليغ في مستقبل الوطن الذي تفجر بشكل دموي بشع في بداية التسعينيات، و قد تجسد صداه في الرواية الجزائرية .

خلال العشرية الأولى من السبعينيات برز نظام سياسي في الجزائر بإجماع المجلس الوطني الجزائري المنعقد في 27 ماي و5 جوان 1962 إذ تبنى الاختيار الاشتراكي واعتماد الحزب الواحد كنموذج للتنمية، وهذا ما أدى إلى خلق نظام شمولي استبدادي أصبح واقعا ملموسا مع بداية رئاسة أحمد بن بلة كأول رئيس للجزائر المستقلة ، ثم حدث انقلاب عسكري تولى القيادة بعده هواري بومدين في19 جوان1965، كرس بقيادته النظام الاشتراكي القائم.

كان عقد السبعينيات العصر الذهبي للإيديولوجية الاشتراكية تحت حكم هواري بومدين الذي حكم البلاد بقبضة حديدية، و كبت للحريات، و صادر الآراء المخالفة لنهج السلطة، وفي بداية عام 1979 تولى مقعد الحكم العقيد الشاذلي بن الجديد الذي أدى اليمين على الحفاظ على النظام الاشتراكي، وفي عهدته برزت أحداث مهمة في مسار المجتمع الجزائري، مثل أحداث الربيع الأمازيغي في أفريل 1980، كذلك اشتد الصراع في الجامعات بين التيار الإسلامي واليساري .

بدا الاختلال يظهر في جسم الدولة الجزائرية مع انهيار أسعار البترول التي أسهمت في تغطية عجز الدولة خلال السنوات الماضية، وما لبث أن تكشفت العيوب، وأفلست الخزينة وأدى ذلك بالدولة إلى نهج سياسة التقشف، فانتشرت البطالة، و عمت السوق السوداء مع ندرت المواد الغذائية، توالت كل هذه الظروف لتجلب اضرابات مهد لها الشعب الجزائري التي قادها مثقفو الجزائر.

و في خضم هذا جرت انتخابات تعددية فاز بها التيار الإسلامي، هذا الحزب الذي ولد خوفي النخبة المثقفة، والطبقة السياسية، فاستخلف محمد بوضياف مكان الشاذلي بن جديد لتغيير المسار السياسي للجزائر. و قد جسدت الرواية هذه الصدمة النفسية التي تلقها الشعب الجزائري بخاصة المثقفين في صورة فنية، وكانت رواية" **سيدة المقام**" التي وصفت هذه الأحداث انطلاقا من النخبة الإسلامية المتمثلة في حراس النوايا.

بنى واسني روايته على أحداث اكتـــــوبر1988أوبالأحرى"**رصاصة الجمعة 7 أكتوبر1988، رصاصة بلا معنى كغيرها من الرصاصات الكثيرة التي اخترقت سمط المدينة في تلك الأيام** "[48]وقد قيل عن أحداث اكتوبر1988"**أنها من وضع السلطة وأيا كانت الخلفيات وأسباب دوافعها فإن الشعب الجزائري هب كلمته ويعلن رفضه لمحتكري الراي الواحد**"[49]. هذه الأحداث تعتبر متنفسا للجزائريين من خلال بعث روح الديمقراطية. ومن هنا دخلت الجزائر مرحلة تأسيس الديمقراطية وكذا الاقتصاد الحر، وقد وصف الكاتب أجواء هذه الأحداث بقوله " **وزعت وثائق ســـــرية تدعو إلى الإضراب العام يوم 5 اكتــوبر 1988**"[50] ، بمعنى أن التحضيرات كانت محكمة. ومما يدل على أنها مدبرة من طرف رجال السياسة المثقفين الذين يدركون أحوال المدينة الجزائرية. في حين تؤكد مريم قائلة "**سأقدم شهادتي أمام لجنة حقوق الإنسان و اللجنة المضادة للتعذيب، سأقول إنهم استعملوا الرصاص الانفجاري**"[51]،هذه الرصاصة التي أصابتها وبقيت تنخرفي دماغها إلى أن قضت عليها. وقد عكست الرواية رؤى صاحبها، إذ: " **حاولت تقديم وعي الطبقة المثقفة بمسألة السلطة، وتصورها للعــلاقات الاجتماعية والثقافية القائمة في المجتمع أو تلك التي ينبغي أن تقوم مستقــبلا**"[52] لذلك نجد الأعرج في كثير من الموضع يدين سلطة " بني كلبون"وكذا الإسلاميــين "حراس النوايا".

---

[48] ـواسيني الأعرج ، سيدة المقام ، ص6

[49] ـ علال سنقورة ، المتخيل والسلطة ،ص39 ،40

[50] ـواسيني الأعرج ،سيدة المقام ، ص12

[51] ـالمصدر نفسه ص138

[52] ـواسيني الأعرج ،ص 13

2.3.2 النظـــــام الديني

في هذا السياق عملت السلطة على ضرب الشيوعيين وكسرشوكتهم، وذلك بمساندة الإسلاميين ماديا ومعنويا، ولم يرفض التـــيار الديني طبعا اليد التي مُـــدَّتْ إليه، فعمل على تقديم غطاء ديني سياسي للجماهـــير البسيطة وتغيـــير نظام الحكم، والقضـــــاء على الرشوة، وفي خضم هذه المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي يعاني منها الجماهير تحالفت السلطة مع الحزب الديني ليحقق أغراضها الشخصية. وهكذا تغيرت كل موازين القوى الاجتماعية والسياسية، و تولَّد عن ذلك نتائج وخيمة على مسار العمل السياسي .

و قد أكد هذا واسيني في الرواية حين منح التيار الديني اسم **حراس النوايا** لكونهم يمثل بنية ذهنية كائنة تمثلها الحركة الإسلامية، حركة أصولية شهدت توغلا في بنية المجتمع جراء تغيير الوضع السياسي للبلاد من الحزب الواحد إلى التعددية الحزبية، مما أكسبها شرعية سياسية .

لقد عمل حراس النوايا على تغيير وجه المدينة البيضاء التي أصبحت في ما بعد الاستقلال وكأنها مدن أوربية، غيروا ملامحها وذلك بتحويلها إلى قرية صغيرة أدخلت عليها ثقافة جديدة تمثلت في خطابات الداعية المتضمنة العودة إلى خوالي عهد الخلافة الإسلامية تعبيرا عن رفض الإسلاميـــين التغريب الثقافي وتغيير قيم المجتمع الجزائري المحافظ. و قد اتسمت تلك الخطب حسب الروائي بطقوس أهوال القيامة، كما استهدفت مدرسة الفنون بغية غلقـــها وتحويلها إلى مأوى للمنكوبين، حيث تقول مريم " **كان حراس النوايا كل يوم يغلقون أبواب الصلات الفنية ويوقفون بالقوة السهرات** "[53].

و يظهر الروائي معداتهم لـــ **أنطوينا** الروسية أستاذة في مدرسة الفنون الجميلة التي اضطرت إلى مغادرة البلاد بعد تصريحها بمعاداتها للوجهة السياسية الاشتراكية، مما جعل مريم تتساءل في حيرة "**ما الذي يجعلهم يوصدون أبواب معاهد الفن وصرح المسارح الوطنية ؟ أليست حربا معلنة ضد الثقافة**"[54].

---

[53] ـواسيني الأعرج، سيدة المقام ، ص37

[54] ـالمصدر نفسه ، ص138

إن حراس النوايا قد رفضوا كل مظهر يتعلق بالتحرر الاجتماعي، ويُعتبر الدين بالنسبة لهم منطلقا لتطبيق تعاليمهم في المجتمع، كما كانوا بمثابة أشباح تلاحق الأستاذ، ومريم، وسكان المدينة مهمتهم المراقبة والمتابعة، حتى إنهم يراقبون ما يدور في فكر المرء أو ما يعتقدون أنه دائر، يقول الأستاذ: "**أعرف، بل صار مألوفا، أن حراس النوايا لا يتدخلــون بعنف إلا عندما تكون مصحــوبا بامــرأة** "[55]. يحاول الروائي أن يكشف عن تفكير هؤلاء الذين لا يتقبلون أي رأي مخالف، ويصرون على فرض قانونهم، ومن جهة أخرى يرفض المثقفون أن يستسلموا لسلطة هؤلاء، ويصرون على حقهم في ممارسة الحرية، تقول مريم " **إننا نعيش في غابة !! من أعطاه الحق ليدخل إلى البار و يغتال فرح الناس. يا أخي دع الناس يختارون بؤسهم و موتهم** "[56]. لقد أصبحت مهمة حراس النوايا تتمثل في مهام جهاز الشرطة، فقد أخذوا يطلبون من كل عابر مع امرأة إخراج الدفتر العائلي .

لقد طالبت هذه الفئة بتطبيق الشريعة، و إلغاء القوانين التي تسير المجتمع في كل المجلات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والروحية، بدعوى أنها وضعية مستوردة، وهي بالتالي سبب كل الآفات والأزمات التي تعيشها الأمة الإسلاميــة، ولكن هذه الدعوة لم تطبق حسب التشريع الإسلامي إذ استعملتها مجموعة تدعي أنها عارفة بتعاليم الإسلام. و لكن في حقيقة الأمــر تدعي ذلك ادعاءً، يقول الأســتاذ " **في المــرة الماضية رأيت في التلفزيون فقهاء الظلام ...يتحدثون عن تحريم مختلف أشكال تحديد النسل ...حرام ...حرام...حرام ...الله يرزق عبده !**"، وقال أيضا: " **لقد بلدوا هذا الشعب، صار يتقاتل عن نواقض الوضوء آل؟؟؟اللحية من الرجولة !الله ما عندوش شلاغم، والله ما هوش رجل َ!!هل تجوز الصورة في بطاقة التعريف؟ في الصحافة ؟ التشبيه بمخلوقات الله كبيرة من الكبائر ! !**" [57]. إن الكاتب يرفض هذه الدعوى لأن المجتمع كل يوم يطرح عدة إشكاليات تتطلب حلولا سريعة ودقيقة و ملائمة. هذا الأمر لا نجده في المشروع .

---

[55] ـواسيني الأعرج ،سيدة المقام ،ص22

[56] ـالمصدر نفسه ص31

[57] ـواسيني الأعرج ، سيدة المقام ،ص 43

4.2 المرأة والراهن الجديد

لقد اعتبرت المرأة في العصر الجاهلي نذير شؤم وعارا تبتلى بها العائلة ، حيث كانت البنت تدفن حية بعد ولادتها مباشرة إلى أن جاء الإسلام فرد للمرأة اعتبارها وحقها في الحياة .

رغم كل المحاولات لإخراج المرأة من وضعها هذا، فإن الرجل يقف حيال ذلك دائما بسلطته المطلقة التي لا تعارض الرجل الريفي بخاصة، حيث يعامل المرأة كشخص ناقص حتى إنه يمارس عليها شتى الانتهاكات و الاغتصابات. وقد مثل الأعرج لهذا النموذج من النساء في شخصية خضراء "**هذه المرأة التقليدية التي لا تختلف عن البقــرة أو النعجة الله غالب هذه هي الحقيقة**"[58]. عاشت خضراء في مجتمع هضم حقوقها وحرمها حتى من حق اختيار شريك حياتها، حيث حدد وظيفتها المتمثلة في خدمة الزوج و إنجاب الأطفال، فرضوخها لسيطرة الوالد جعلها "**مخلوقة وحيدة في وجدانها تزوجت مبكرا من رجل لم تحبه**"[59].

و قد جاء على لسان "مريم" بطلة الرواية التي تحكي حيات والدتها خضراء التي بعد زواجها بأشهر قلائل يصل خبر موت أو استشهاد أو انتحار لحسن فتقول "**يوم سمعت بموته...لبست السواد وغطت رأسها....بكيت كثــيرا**"[60]. ومن ثم أرغمت على الزواج من العباس أخ زوجها الأول هذا دليل على أن سلطة الأعراف الاجتماعية والرواسب التقليدية هي التي تتحكم في مصير المرأة.

كان عباس الزوج الثاني لخضراء يدرك جيدا أن المازوزية ليست ابنته، بيد أنه لم يتقبل فكرة أنه لا يستطيع الإنجاب، فالرجل لا يكون سببا في العقم بينما المرأة العقيمة لعنة على زوجها وهذا ما أكده الراوي بقوله: " كان....."[61] خوف العباس على رجولته جعله يوجه الاتهامات إلى خضراء ويهددها بالطلاق خاصة إذا تعلق الأمر بالإنجاب، لأن الأولاد العامل الأساسي لحماية المرأة، إضافة إلى أن الرجل الريفي يحمل مسؤولية تحديد جنس الجنين .

---

[58] ـالمصدر نفسه ،ص99

[59] ـ واسيني الأعرج ، سيدة المقام ،ص99

[60] المصدر نفسه ،ص 81

[61] ـواسيني الأعرج ، سيدة المقام ،ص

كان قرار العباس لزيارة الطبيب بمثابة نقطة تحول في مسار حياته، إذ تحول إلى شخص "**محزونا حتى القلب، منهكا يائسا** "[62]، فقد حيث اكتشف حقيقتين؛ حقيقة عجزه وتأكده من أن مريم ليست ابنته بل ابنة أخيه لحسن، فيقول" **المازوزية وين جات...؟؟ قوليلي !!...المازوزية بنت أخوك** "[63]. وبهذا يصيب بخيبة أمل وحالة اكتئاب شديد لأنه أصيب في صميم كرامته، مما دفعه إلى الانضمام إلى "حراس النوايا" .

فإن كان واقع المرأة التقليدية يتمثل في شخصية خضراء فماذا عن الراهن الجديد للمرأة في ظل الظروف الوطنية الاجتماعية الجديدة؟

1.4.2 المرأة الضحية

لقد كانت المرأة بعد الاستقلال تعتبر سحر المدينة وأنوثتها تزيدها بهجة وضياء، حيث فرضت خطواتها من خلال مكانتها في المجتمع تقول مريم: "**الفتيات المراهقات، وهن يخرجن من الثانويات بمآزرهن الملونة بألف لون طفولي تتصاعد ضحكاتهن في السماء الصافية، وهن يرشقن المعاكسين بتلذذ، كانت المرأة جزءًا من سحر هذه المدينة ...شيء من الفرح**"[64]، ولكن لم تكتمل فرحة المرأة باستقلالها طويلا رغم تطور أوضاع المجتمع، فإن نظرة الرجل إليها لم تتغير.

عبر واسني الأعرج عن مأساة المرأة التي انتهكت داخل المجتمع الراهن، حيث تتخذ مأخذ المتاع المادي، اتصالا جسديا بلا رغبة، ولا إرادة كاملة، لا توجد أية علاقة عاطفية، ولا علاقة حب متبادلة، بل هو مجرد حضور جسدي، وتصبح المرأة أداة من أدوات الشيطان، كشيء جميل، كتحفة، وأداة إغراء، وغواية كموضوع جنسي فهي تعيش وضعا مأساويا، انتهكت كرامتها وحرمت في عفتها وذلك بسبب رجال الدين تحت شعار محاربة سفور النساء والدعوة إلى إعادتهن إلى حياة الحجاب الأول، نجد فاطمة مرابط تقول: "**من الغريب أن هذه النفوس الطيبة (المستعصبون)لا تبرز القران إلا عندما يثار موضوع تطور المرأة** "[65] ، فكانت الشريعة الإسلامية ذريعة لمنع كل تطور وتحرر المرأة المسلمة، وانتشار الدينية التي جسدها "حراس النوايا"، ومن خلالها أصبحت المرأة كما تقول مريم: " **تردم في البيت أو يلبسونها حلاسة(خرق بالية)على**

---

[62] ـ المصدر نفسه ،ص88

[63] ـالمصدر نفسه ،ص88

[64] ـواسيني الأعرج ، سيدة المقام ،ص35

[65] ـقاسم أمين ، تحرير المرأة ،ص62

وجهها ورأسها، وكأنها مجرمة بشكل أبدي"[66]. وهذا يعني أنها فقدت أنوثتها المدفونة في أكفان ملونة بألوان داكنة. فهي معرضة لأنواع الاغتصابات والاعتداءات من قبل دعاة محاربة سفور المرأة، إذ نجد حوالي(2048 **امرأة تعرضت لأبشع الاغتصاب الجنسية، فضلا عن اختطاف** 1319 **امرأة لا يزال مصيرهن مجهولا، كل هذا تحت شعار فتاوى عن المرأة**"[67].

هذه هي صورة رجال الدين في هذه الفترة تقول مريم: " **تكلمني عن الرجولة، الحـــرمة، أنت رجل ؟ باش؟؟ ما معنى أن يكون الرجل رجلا في بلاد فقدت رجـــولتها، ما معنى أن تكون المرأة ، امرأة في بلاد أن يكون فيها المرء أنثى عليه أن يدفع الثمن غاليا ...!!**"[68]. لتواصل في وصفها عصيبتها كرجل محافظ من جهة، ومنتهك لحرمات النساء من جهة أخرى، ولئن كانت هذه المرأة تعيش حالة ذعر واغتصاب، فإن هناك تلك المتعدية التي تمردت على التقاليد، والعادات، وهذا ما أشار إليه واسيني حين أقر بوجود عنصر نسوى مفعم بروح التحدي برغم من تأزم الأوضاع الراهنة، إذ " **قبلت المرأة الجزائرية كل معطيات ظرفها التقليدي...لتكون سببا في ولادة حالة جديدة، وبهـــذا تحدث ديناميكية في العقليات خاصة فيما يخص علاقة الرجل بالمرأة**"[69]، المرأة التي حاربت ، وصمدت من أجل تغيير أوضاعها .

وهنا يقف الكاتب عند ملمح اجتماعي هام يتمثل في وعي الآباء بضرورة تعليم بناتهم، فللمرأة دور فعال في بناء المجتمع، فهي تمثل نصفها كما تجلى ذلك في حوار عمي موح مع مريم قائلا: " **أنا كذلك عندي بنت تمنيت أن تكون طبيبة، ولكنها اختارت تقرا باش تولي محامية، وإلا قاضية، في البداية زعفت ، ومن بعد قلت مليح القرايا تنفع تنفع** "[70]. فتعليم المرأة يضمن لها مستقبل حياة كريمة، فالعمل بالنسبة لها بمثابة سلاح تتسلح به لتفرض ذاتها واستقلاليتها، فالعمل والعلم يمكنان المرآة من: " **السيطرة على مخاوفـــــها وبخاصتها تلك المتعلقة بالرجل وصورته لديها، فهي في اندفاعـــها**

---

[66] ـواسيني الأعرج ،سيدة المقام ،ص192

[67] ـمحمد مقدم ،الأفغان الجزائريون ،من الجماعة الي القاعدة ، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والإشهار ،وحدة الصياغة (الجزائر) ص101

[68] ـ واسيني الأعرج ،سيدة المقام ،ص26

[69] ـواسيني الأعرج ، سيدة المقام ،ض

[70] ـواسيني الأعرج ،سيدة المقام ،ص50

في العمل تريد أن تثبت لنفسها وللمجتمع أنها كفء، وقادرة على القيام بدور إيجابي فعال ...مثل الرجل "[71].

2.4.2 المرأة المتحدية

تعتبر مريم الشخصية المحورية التي تدور حولها أحداث الرواية، فهي طفلة في عنفوان شبابها : " **طفلة بنت تائهة في اتساعات القرى ، والمدن المحورية ...سيدي بلعباس ، امرأة يأكل الجنون حاضرها ، وغائبها ، امرأة غير مـــتزنة**"[72]. مريم شابة جامعية راقصة بالي تحب الرقص إلى حد الجنون وتعكس صورة المرأة ذات الطموحات الثقافية التي تسعى إلى تجاوز قريناتها التقليديات.

لقد كان المجتمع الجزائري يرفض أية ثورة من قبل المرأة، لنجد مريم ضربت بالعادات والتقاليد عرض الحائط، ولذلك اتهموها في أخلاقها فزواجها من حمود كان وسيلة لإسكات الناس، باعتبار أن الزواج شكل من أشكال التوافق الاجتماعي، لأن الفتاة إلى حد أن تتزوج هي عبء ثقيل على العائلة، وها هي تبرر سبب قبولها الزواج قائلة " في **الحقيقة لم أملك جوابا قطعا قلت لم لا؟؟ سأفكر، كنت أتمنى أن أخرج من هذا البؤس دون أن أفقد أمي** "[73]، ومع ذلك بقيت حائرة بين أمرين القبول أو الرفض .

ظهرت مريم في الرواية بشخصيتين ، شخصية المرأة التقليدية الراضخة لعادات تقاليد المجتمع، وكذا الرافضة للزواج، فهي تعتبر أن الزواج إفلاس مسبق للذات "**هل تريدني أن أخبأ رأسي في البيت مثل الزوجة الصالحة**"[74]، إنها ضد كل قيد اجتماعي. وهنا يتجلى التناقض حيث تقبل بحمود كزوج لها بوثيقة مدنية وفي الوقت نفسه ترفض الارتباط به عاطفيا لأنها ترى نفسها أنموذج لتلك الضعيفة والخائفة فتقول:"**هل سأصبح مثل أمي** "[75]. مريم خائفة من إقامة علاقة مع حمودة ، فهي لا تحبه حتى تقبله كزوج لها ، إضافة لخوفها من إعادة تجربة أمها خضراء حيث تقول:"**يبدو لي أن الزواج في هذه المدينة هو إعلان مسبق عن حالة إفلاس باطنية**"[76]، ورغم ذلك تتزوج مريم

---

[71] ـالمصدر نفسه ،ص133
[72] ـواسيني الأعرج ،سيدة المقام ،ص79،80
[73] ـالمصدر نفسه ـص102
[74] ـواسيني الأعرج ،سيدة المقام ،ص197
[75] ـالمصدر نفسه ،ص108
[76] ـالمصدر نفسه،ص101

رغم الأفكار التي كانت تراودها، وقد حدث أن رفضت حمودة ليلة زفافـــها وأمام دقات النســـــاء: " **كل مرة تدق الأبواب ...سحب سكينًا...ثم فتح أصبعه ...سال الدم بقوة ...ثم فتح الباب ورمى الحرقة في وجه الجموع المكتظة...**"[77].

هذا يمثل طقوسا من طقوس العائلة العربية التقليدية، فهو دليل عذرية المرأة و كذا عفتها، وهنا يظهر حمودة في صورة الرجل المتفهم والمتفتح ، متجاوزا بسلوكه عقلية المجتمع وعاداته. و بعد أن يصبح تكتشف النساء أن الدم كان مغشوشا "**بعض لحظات شعرت بشيء ما يشبه الخيبة تستقر في بؤبـــؤ عينه، كان منكسرا...اكتشفوا الخديعة** "[78]، من الدم المغشوش تتحول نظرة حمودة إلى مريم خاصة بعد رفضها له عدة مرات رغم أنها مقتنعة بمشروعية حقه في الممارسة الجنسية شأنه شأن كل الأزواج مدركة أن ذلك يهينه قائلة "**ألح علي ...ولكن يفشل انكفأ على وجهه وهو يخبئ عاصفة هوجاء في عمق عينه** "[79]. يبدو أن حمودة في البداية أبدى حبه واحترامه لمريم ولكن سرعان ما تحول هذا الحب الى هوجاء، تفجرت في أبشع صورة لاسيما، وأن الجانح المحروم من المودة ، ومن أن يكون له عالمه المطمئن الآمن لا تبوؤه جماعته أية مكانة ، فقد حاول جاهدا أن يبلغ هذه الأهداف القيمة بالوسائل المختلفة، لقد توسل حمودة عدة مرات قبل أن يقرر موقفه النهائي ليظهر بوجه أخر: " **ذات ليلة ، وأنا أحاول أن أفتح كتاب الســـرير قالها بخنق كبـــير وبأعلى صوته، يا بنت الناس قالوا عني مربوط قلت معليش، قالوا دم الزفاف مشكوك فيه قلت يدزماعهم، أنا أعرفها أفضل منهم، وأحبها ذبحت أصبـــــعي من أجلك جميلة و تســـتاهل ... وأنا تعبت** "[80] . فبعد أن يأس حمودة من استمالة مريم تحول إلى وحش كاسر مستخدما العنف لنيل مبتغاه إذ تقول مريم " **كثيرا من الرجال يفكرون مليح من بعد، وعندما يتزوجون يعودون إلى الحقيقة الأولى** " [81] .

لقد شتم حمودة مريم ووصفها بأبشع صفات التي كانوا يطلقونها عليها أبناء الشارع يقول: " **يرحم ربك، قولي وش تكوني، قتلتيني، وبهدلتيني وأنت وش تكوني؟! مجرد راقصة...تملئين سهرات...تشربين الويسكي، والركام ، ترقصين لهم ...هذه الراقصة**

---

[77] - م ، ن، ص104
[78] - م ، ن ، ص104
[79] - واسيني الأعرج ،سيدة المقام ،ص 105
[80] - م ، ن ، ص108
[81] - م ، ن ، ص90

شابة روحها ...جسد معروض لكل الناس، وأن الرجل وأنا الرجل الحقيقي الذي وقف الزهر في حلقه"[82] . إن نظرة حمودة لمريم مجحفة وغير محترمة باعتبارها راقصة .

إن الدوافع التي جعلت حمودة يقدم على هذا السلوك العدواني يتمثل في فضيحة دم الزفاف المغشوش، وكذلك ضغوطات عائلته، والمجتمع إضافة إلى الصد المتكرر من قبل مريم، كل هذه العوامل جعلت منه رجلا تقليديا خاصة أن والده أي والد حمودة قد تغير اتجاهه لأنه لم يثبت رجولته .

هذه العوامل قد دفعت حمودة إلى أن يرتكب عمل غير سلوكي وغير أخلاقي لأن "**السلوك العدواني ينشأ من سوء المعاملة أو الإحباط أو الحرمان** "[83] خاصة وأنه عرف حياة الحرمان حيث يقول بصوت يئن من كثرة الأحزان :"**حلمت بالماجستـــــير في الحقوق، ولكن لم أفلح أبي مستعد لأن يمولني ...شرط مغادرة هذا البريد بلا معنى، أكيد أنه يقــول أكثر من هذا كله**"[84]، حمودة يعيش حياة إحباط نتيجة الظــروف التي صادفته في حياته خاصة صده من طرف زوجته، و بعد فشله

[82] ـ واسيني الأعرج ، سيدة المقام ،ص 91
[83] ـ مخول مالك سليمان : علم النفس والطفولة ، والمراهقة ،ط الجديدة 1986، دمشق ،ص284
[84] ـواسيني الأعرج ،سيدة المقام ،ص109

خاتمـــــــة

خاتمـــــــــــة

ككل عمل له بداية و نهاية، وها قد وصلنا إلى نهاية بحثنا الذي لم يرق إلى ما كنا نصبو إليه، و ذلك لما يتطلبه البحث العلمي من التجلد و المثابرة و بعد النظـــر، و قد قمنا و قد أنجزناه على قدر استطاعتنا مع اقتناعنا بنقصـــانه منهجا و تحليلا و تفســـيرا.

لقد اكتشفنا في هذا البحث أسرارًا كانت متوارية عنا ضمن الحركة الأدبية المعاصرة، و قد تجلى لنا بعضها أثنـــاء محاولتنا تحليل الرواية و استخلاص فحواها.

ومن أهم النتائج التي توصلنا إليها في بحثنا المتواضع هذا ما يلي:

- إن الإيديولوجية عبارة عن نسق منتظم من الأفكار التي ينسجم معها الإنسان، و هي لا تفارق المجتمع، فهي متمكنة منه وملازمة له ودالة عليه، و قد لاحظنا أن كل عمل روائي لا يمكن أن يخلوا من التمثل الإيديولوجي مهما كان جنسه، و هذا ما أشار إليه **"لوسيان غولدمان "** بمرحلة فهم النصوص الروائية .

- إن للإيديولوجيا أهمية كبيرة في النص الروائي، فهي تعطي متعة للقـــــراء، و تصبغ على العمل الروائي صبغة جمالية فنية، فالرواية لا يمكن أن تستغني عن الإيديولوجيا لكون فنية العمل الروائي يتطلب هذا المكون، كما يمكن أن يكون المحور المرجعي له، حيث يأخذ حضوره شكل الصراع الفكري، و قد هيمنت الإيديولوجيا على الرواية الجزائرية لطبيعة الموضات التي تطرقت إليها.

واسيني الأعرج في روايته **"سيدة المقام "**تحدث عن الوضع المأساوي الذي آلت إليها الجزائر في ظل السلطة الحاكمة، تحدث عن المثقف و موقفه من قضية السلطة السياسية، كما تحدث عن وضع المرأة التي أصبحت في نظـر رجال الدين عبءا ثقيلا على المجتمع.

واسيني الأعرج في روايته يرصد لنا الوضع الثقافي الذي كان خاضعا للقمع السياسي، وانعكاسه سلبا على الثقافة التي تعيش كل التناقضات، وحالة الفوضى اللذين يعتريان السياسة. و قد بين لنا الروائي ما يتعرض له المثقفون من تهميش ، ولامبـــالاة من قبل السلطة و الجماعات الدينية المتطرفة .

- تعكس لنا الرواية صورة المرأة في المجتمع الجزائري، حيث تدنس كرامتها باسم الدين و تعتبر ضحية تلك الأزمة السياسية التي عرفتها الجزائر، فقد كانت هناك محاولات عدة لتحديد نشاطها الفني و التعليمي خلال العشرية السوداء. و قد صور لنا الروائي واقع المرأة الجزائرية بعد ظهور تلك الجماعات الدينية و القمع الاجتماعي الذي يمارس عليها ، ذلك القمع المتمثل في العادات و التقاليد، فقد مورست ضدها ضغوطات اجتماعية كبيرة.

- وصفت لنا الرواية الأزمة السياسية التي مرت عليها الجزائر في أكتوبر 1988 .

- وصف لنا كذلك الصراع الإيديولوجي السياسي الذي كان يدور بين فئة المثقفين الجزائريين و السلطة و تلك الجماعات الدينية .

مُلحَـــق

بيوغرافية الروائي واسيـــــني الأعرج

واسيني الأعرج : من مواليد 8 أغسطس 1954 بقرية سيدي بوجنان ، تلمسان جامعي وروائي يشغل اليوم منصب أستاذ كرسي جامعتي الجزائر المركزية و السوريون بباريس يعد أحد أهم الأصوات الروائية في الوطن العربي.

تنتمي أعمال واسيني على خلاف الجيل التأسيسي الذي سبقه إلى المدرسة الجديدة ، التي لا تستقر على شكل واحد ثابت ، بل تبحث دائما عن سبلها التعبيرية الجديدة و الحية بالعمل الجاد على اللغة.

ــ تميز مشواره الأدبي بحصول أعماله على مراتب مهمة ضمن مختلف الأعمال الأخرى

-فقد اختيرت روايته حارسة الظلال (دون كيشوت في الجزائر) سنة 1997 ضمن أفضل خمس روايات صدرت بفرنسا ، و نشرت في أكثر من خمس طبعات

-تحصل سنة 2001 على جائزة الرواية الجزائرية على مجمل أعماله.

-في سنة 2006 نال جائزة المكتبتين الكبرى على روايته : كتاب الأمير و التي تمنح عادة لأكثر الكتب رواجا و اهتماما نقديا في السنة.

-سنة 2007 ، تحصل على جائزة الشيخ زايد للآداب.

-ترجمت أعماله للعديد من اللغات الأجنبية من بينها : الفرنسية ، الألمانية ، الإيطالية ، الإنجليزية ،الإسبانية و العربية.

-كما اختيرت راويته الأخيرة – بيت الأندلس -أحس رواية لسنة 2010

أعماله :

ــ البوابة الزرقاء (وقائع من أوجاع رجل) دمشق /الجزائر 1980

ــ طوق الياسمين(وقع الأحذية الخشنة) بيروت1981 / سلسلة الجيب : الفضاء الحر 2002

ــ ماتبقى من سيرة لخضر حمرروش ن دمشق ، 1982

ــ نوآر اللوز ، بيروت 1983 ، باريس الترجمة الفرنسية 2001

ــ مصرع أحلام مريم الوردية ، بيروت(1984 سلسلة الجيب : الفضاء الحر ، 2001)

ــ ضمير الغائب ، دمشق1990 سلسلة الجيب : الفضاء الحر 2001 .

ــ الليلة السابعة بعد الألف:الكتاب الأول : رمل الماية، دمشق /الجزائر 1993

ــ الليلة السابعة بعد الألف : الكتاب الثاني ، المخطوطة الشرقية ، دمشق 2002

ــ سيدة المقام(دار الجمل – ألمانيا / الجزائر) 1995 سلسلة الجيب : الفضاء الحر ، 2001

ــ حارسة الظلال. الطبعة الفرنسية 1996 ، الطبعة العربية 1999 ، الفضاء الحر . 2001

ذاكرة الماء،دار الجمل ،ألمانيا ، 1997 ، الفضاء الحر 2001

ــ مرايا الضرير ، باريس الطبعة الفرنسية1989

ــ شرفات بحر الشمال ، دار الآداب ،بيروت 2001 ، باريس الترجمة الفرنسية 2003

ــ كتاب الأمير ،دار الكتاب بيروت ، 2005 ، باريس للترجمة الفرنسية 2006

المصـــَـــادر و المرَاجع

قائمة المصـــــادر والمراجـع

أولا: المصادر

ــ واسيني الأعرج، سيدة المقام،

ثانيا : المراجع باللغة العربية

ــ أحمد فريحات ، أصوات ثقافية في المغرب العربي ، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع لبنان ،ط1

ــ بوداود و ذناني، الثابت الإيديولوجي في الكتابة الروائية عند الطاهر وطار

ــ شريف حبيلة، الرواية والعنف، دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة، الأردن ، ط1 2010

ــ علال سنقوقة ، المتخيل والسلطة في علاقة الرواية بالسلطة السياسية ، نشر رابطة كتاب الاختلاف ، الجزائر ط1 جوان 2000

ــ عبد اللطيف عبادة ،اجتماعية المعرفة الفلسفية، الموسوعة الوطنية للكتاب ، ط1 ، الجزائر 1984

عبد الله العروي ، مفهوم الإيديولوجيا ، المركز الثقافي العربي ،ط1،1993

ــ قاسم أمين ، تحرير المرأة

ــ محمد ساري ، محنة الكتابة ، منشورات البرزاخ ، الجزائر ،ط ماي 2007ــ محمد مقدم ، الأفغان الجزائريون من الجماعة إلي القاعدة ، منشورات المؤسسة الوطنية للإتصار النشر والإشهار ، وحدة الصياغة الجزائر

ــ محول مالك سليمان ، علم النفس والطفولة والمراهقة ،ط الجديد 1986 ، دمشق

ثالثا : المراجع المترجمة

بول ريكو ، محاضرات في الإيديولوجيا ، تح جورج هــ ، تيلور ، تر فلاح رحيم ،ط1 ، بيروت

رابعا : المعاجم

روزنتال ،م،و،ي، الموسوعة الفلسفية ، تر كرم ،الطليعة ،ط1بيروت

عبد الهادي الجوهري، المكتب الجامعي الحديث الأزاربطة إسكندرية،ط1